بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية

وشريعة نبوية في سيرة احمدية

تأليف

العالم المحقق قطب العارفين وغوث الواصلين
مولانا أبي سعيد الخادمي رحمه الله

فرغ من تأليفه سنة ١١٦٨ هـ

وبهامشه

الوسيلة الأحمدية والذريعة السرمدية

في

شرح الطريقة المحمدية

للعالم الفاضل الألمعي الأوحد مولانا الشيخ رجب بن احمد رحمه الله

فرغ من تأليفه سنة ١٠٦٣ هـ

الجزء الأول

طبع بمطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
سنة ١٣٤٨
وباشر طبعه محمد أمين عمران

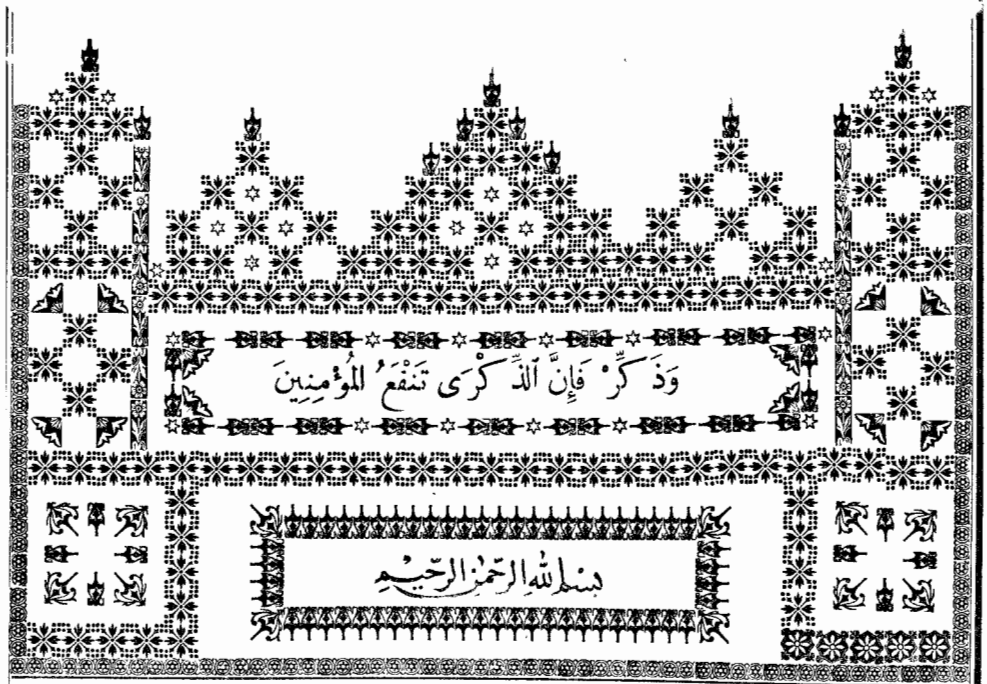

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الحمد لله الذى هدانا لمعرفته القويم * وأكرمنا بنور توفيقه الى الصراط المستقيم * وشرفنا بحمل أمانته بعد عجز أرضه وسمواته بلطفه الفخيم * وزكانا باتياننا الى بابه بقلب سليم * انه هو البر الرحيم جواد كريم رؤف رحيم * والصلاة والسلام على من ايد من عنده بالكتاب الحكيم * محمد الذى دعا الخلائق الى دار النعيم * وحذرهم من الدخول فى دار الجحيم وعلى آله وأصحابه فى أفق سمائه الجسيم ﴿أما بعد﴾ فيقول الفقير الى الله الصمد * الشيخ الحاج رجب بن أحمد * عصمه الله الكبير الكريم عن الخطايا والمعاصى ومن الاعتقاد العقيم * لما كان الكتاب المسمى ﴿بالطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية﴾ للشيخ العالم العامل والفاضل الكامل محمد البركوى كتابا جامعا لاصناف الفضائل * ومحتويا على أنواع الطاعات من الفروض

الحمد لله الذى جعلنا خير أمم * أمة مرحومة مغفورة مثابة غاية كرم * ومباركة لا يدرى أوّلها خير أو آخرها من شمول النعم * من فضل أتى من قبل نبينا عليه التحية والكرم * والصلاة والسلام على أفضل رسله الذى بتبعيته يفاز بسعادة الدارين * بل ينال الى أقصى الرياستين * وبمحافظة حدود شريعته يتنجى عن الاهوال والهلكات * وبحراسة حمى سنته يوصل الى قصوى الامانى والدرجات * وعلى آله وأصحابه هم فى خير القرون كانوا هم تبعوه وجاهدوا معه وآووا وقد نصروا ﴿وبعد﴾ فمن أجلى البديهيات شرعا * وأوضح اليقينيات عقلا * ان الدنيا فان * وآخر لباس الانسان الاكفان * وان الارتحال منها كان وعدا مأتيا * والشرب من كأس المنية حتما مقضيا أوّلها ضعف وفتور * وآخرها موت وقبور * فدار نفاق وشقاق * وموطن عبور وفراق * مشوبة بالفتن والشرور * سلابة للاذواق والسرور * عزها مع الذل محرم * ونعمها مع النقم توأم * فاوّلها خزى وغم * وآخرها مذم وهمّ * مناعة النعم * أكالة الامم * منحها محن * ومحنها منح ومنن فركونها ويل وو بال * واعتمادها وزر وضلال

رأيت الدهر مختلفا يدور * ولا حزن يدوم ولا سرور
وشيدت الملوك بها قصورا * فما بقى الملوك ولا القصور

ولا يوثق بالدولة فانها ظل زائل * ولا يعتمد على النعمة فانها ضيف راحل * لو كان الدولات دائمة لكانوا كغيرهم رعايا لكن ليس للدولات دوام * أين الآباء والأجداد * وأين الاسلاف والاحفاد * أين قياصرة القصور * وأين هرامزة الدهور * أين شداد وعاد * وأين إرم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وان فى الآخرة دارا ليس فيها الا عذاب شديد * وعظيم البطش بمقامع الحديد وينابيع الصديد * وعند النضج التبديل بالجديد * والاخذ بالنواصى والاقدام * واسوداد وجوه الاقوام * والكب على الوجوه بالسلاسل والاغلال * وسراويل القطران والانكال * يصب من فوق الرؤس الحميم ويصهر ما فى البطون بحكم الحكيم * وطعامهم زقوم وغساق وغسلين * والعطش الى انقطاع الاكباد وغل الاعناق الى الاياد * وليس الكل الاوارد * وليس فيها راحة ولا بارد * وأنت فى ذهول

وغفول

وغفول بعيد * وتقول النار هل من مزيد * وان فيها دارا أخرى أعدت للمتقين * الذين فى الله جاهدوا وصاروا من المهتدين * الى صراط مستقيم * فيها نعيم مقيم * وملك كبير عظيم * ونضرة النعيم عزتها باقية ونعمها صافية * وعن الفناء خالية لبس فيها لاغية * وقطوفها دانية * وأذواقها متوالية شرابها رحيق * ولباسها حرير أنيق * وسندس واستبرق عميق * فيها عين جارية وسرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة * وزرابى مبثوثة متكئين على أرائك مصفوفة * فيها الولدان والغلمان * وحور عين كاللؤلؤ والمرجان * شكلات غنجات آمنات من الهرم * مقصورات فى الخيم يطاف عليهم بأكواب وأباريق من ماء معين * بيضاء لذة للشاربين * وفيها ما لا عين رأت ولا أذن وعت ولا على قلب خطرت * وأعظم النعم القوية على الاطلاق * رؤية الملك المقتدر على الاتفاق وبما اشتهت أنفسهم خالدين فيها على الوفاق * ولا شك ان الخلاص من الدار الاولى * والوصول الى الثانية فى العقبى انما يحصلان بالتشرع بالشرع المتين * والتسنن بأصح السنن المكين * والاحتراز عن البدع والمنكرات ودواعى فاسدات الميولات وتهذيب الاخلاق الرديئة * وتحلية الملكات الحميدة وصدق المجاهدة فى تحصيل الباقيات الصالحات * وقهر امارة النفس والميولات الفاسدات * كما قيل الاسلام ذبح النفس بسيوف المجاهدة وترك الهوى بالمخالفة فانها معينة للاعداء سائقة للاسواء سيف الشيطان وآلة العصيان ومنشأ الطغيان أعدى الاعداء وبلاؤها أصعب البلوى وعلاجها أعسر الاشياء ودواؤها أعضل الداء ودواؤها أشكل الدواء لانها عدو من الداخل وليس لدفع ضره كافل

نفسى الى ماضرنى داعى * تكثر أسقامى وأوجاعى
كيف احتيالى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

انها عدو محبوب وذنب المحبوب مرغوب بل مستحسن ومطلوب فكل الفضائح انما تنشأ منها وكل المصائب انما يتحصل بها وأيضا مخالفة الشيطان الذى هو عدو مكين انه لكم عدو مبين فغاية جهده ليس الا هلاكا نويا ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا غويا فجبول على ايقاع كل خزى عليه قدير ليكونوا من أصحاب السعير وقد نصب نفسه لايقاع النار الجحيم لاقعدن لهم صراطك المستقيم الى ان قال لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فينفذ حكمه لقوم غافلين ولا تجد أكثرهم شاكرين فيوقعهم الى فتنة المعاصى نحو ذنوب كالجبال الرواسى وهذه المخالفة والقهر انما يتصوران باتباعه ﷺ وما اتباعه الا بالاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرى فبقدر الاعراض والاقبال قدر سلوك سبيله على الاجمال وعلى قدر سلوك سبيله قدر قربه ولحوق زمرته ونيل شفاعته وبقدر اقبال الدنيا قدر البعد عنه وبقدر قرب الهوى قدر اللحوق فى زمرة فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ولعمرى لو أنصفنا من أنفسنا من الصبح الى المساء لانسعى الا للعاجلة كنا لانطمع الدخول بزمرته فى الآجلة فان ظننا ذلك ونحن نصر على فعلنا فما أبعد ظننا وما أبرد طمعنا أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون * أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون * ثم لما كانت الطريقة المحمدية كافلة لمعظم هذه كلها دقها وجلها ولم يهمل دقيقة من المهلكات وقطرة من المنجيات الا وقد أتى باسلوب عجيب وترتيب غريب ونهج بديع اجتهدت فى شرحه وتبيانه خدمة موعودة له ﷺ وقربة ووصلة لله الاعز الاجل الاكرم فجاء بحمده تعالى بلطائف ديانية ومعارف نبوية فى قواعد فاخرة وأصول باهرة مع زيادات جليلة وتوضيحات جميلة وتلويحات باهرة وتصريحات ظاهرة وتحقيقات عميقة وتدقيقات أنيقة وتنقيحات بهية وترشيحات علية ولطائف مزية وفوائد شهية وفرائد وافية من كتب معتبرة وزبر معتمدة ومن أسفار الانبياء وأنفاس الاولياء وكنوز العلماء وخزائن الحكماء وأبكار أفكار

والنوفل * مشتملا على مايجب عنه الاحتراز من المحرمات والرذائل * مبينا سنن سيد المرسلين * كافيا فى معرفة أخلاق سلف الصالحين هم الذين يجتنبون الصراط السقيم * والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم * ولم يكن له شرح يشفى العليل من دائه * ويكفى الغليل بمائه * التمس منى بعض اخوانى وخلص خلانى ان أشرح له شرحا يحلل فوائد قيوده ويذلل شوارد صيوده * ويبرز ما كنت فى حجب عباراته * ويفرز ما كنت فى اصداف اشاراته * حاويا بالمسائل المضبوطة * خاويا عن الدلائل المبسوطة * متوسطا بين التفريط والافراط فان خير الامور أوساط * فقلت لهم هذا أمر رفيع السدة وانى امرؤ وضيع العدة فلم يقبلوا منى هذا الاعتذار * وقابلونى بالالحاح والاصرار * فالخمت نفسى فيه وان كان عسيرا لان فى الحاح الرجال خيرا كثيرا وسميته ﴿الوسيلة

الاحمدية والذريعة السرمدية فى شرح الطريقة المحمدية ﴾ وانا أسأل الله تعالى أن يوفقنى للاتمام * و ينفع به المحصلين بالتمام وان يسلكنى سبيل العدل والانصاف * وأن يجيرنى عن طريق البغى والاعتساف * والمجبول الموصوف منهم على الانصاف * أن لا يبادر الى الرد والانكار و يقبل على أعمال الروية والافتكار * وان يصلح مايرى من الخطل * أو يصفح عما يستوجبه من اللوم والعذل

فان ترك الاساءة من اخوان الزمان * نهاية مايتمنى عندهم من الاحسان * ثم المرجو من الطالبين والمتضرع من الراغبين ان يشيعونى بصالح الدعاء و يشكروا لى بما عانيت فى هذا التأليف من الكد والعناء * وأتضرع الى الله ان ينتفع به الراغبون * الذين هم للحق طالبون * وعن طريق العناد ناكبون * وغرضهم تحصيل الحق المبين * لا تصوير الباطل بصورة اليقين * وهذا لعمرى موصوف عزيز المرام * قليل الوجود فى هذا الزمان * فلقد غلب على الطباع اللدد والعناد * وفشا الجدل بين العباد * ولئن فاتنى من الاخوان الثناء الجميل فى العاجل * فحسبى ماأرجو من الثواب الجزيل فى الآجل انه قريب مجيب عليه توكلت واليه أنيب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله ﴾ جميع بينهما فى أول كتابه موافقة للكتاب الكريم والذكر الحكيم * وامتثالا لقوله عليه السلام كل أمر ذى بال لم يبدأ بسم الله فهو أبتر وفى رواية أخرى كل أمر ذى بال لم يبدأ بالحمد لله فهو أقطع رواه أبو داود وحسنه ابن الصلاح وقدم التسمية على الحمدلة اقتفاء بما نطق به يفسرونه الكتاب * واتفق عليه أولو الالباب * الباء للملابسة والظرف مستقر حال من ضمير أبتدئ كما فى دخلت عليه بثياب السفر أو للاستعانة والظرف لغو كما فى كتبت بالقلم فمن اختار الاول نظر الى انه أدخل فى التعظيم ومن اختار الثانى نظر الى انه مشعر بان الفعل لا يتم مالم يصدر باسم الله

الفضلاء فاذا هو الكبريت الاحمر والترياق الاكبر لكونها شموسا من مشارق النبوة طلعت وأقمارا من أفق الخلف والسلف بدرت فكأنها حرية بان تسمى ﴿ بطريقة محمودية فى شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية فى سيرة أحمدية ﴾ فاسأل الله العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم و ينفع به لجامعه وقارئه وناظره وكاتبه نفعا موجبا للعفو وغفرانه بل لرفع درجاته فى أعلى غرف الجنان مع المنعمين عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم اجعلنا من المشتغلين بسنتهم واحشرنا فى زمرتهم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قد قضينا الوطر فى حق البسملة الشريفة فى رسالة مخصوصة من جهات الفنون الى أن تبلغ الى ثمانية عشر فنا فلنكتف بما لم يذكر فيها وهو ان المختار عند بعضهم كالبيضاوى ترجيح جانب الاستعانة فى الباء مع الاتفاق فى جوازها لكن لا يخفى ان حاصل الاستعانة طلب المعاونة على ايقاع الفعل واحداثه وذلك بافاضة القدرة ممكنة أو ميسرة عليه على مافى علم الاصول والمراد من الفعل إما التصنيف أو القراءة أو العبادة أو نحوها فان أريد بتلك القدرة القوة التى يصح صرفها الى الفعل وعدمه فهى حاصلة قبل الطلب فيلزم تحصيل الحاصل وان أريد القدرة المعبر عنها بالصرف أى صرف العبد قدرته الى الفعل فهو أمر عدمى لا يتعلق به الخلق والايجاد على أن تعلق قدرة الله بفعل العبد مشروط بذلك الصرف على حسب عادته ومقتضى حكمته فلو لم يوجد الصرف من العبد لا يوجد الخلق من الله تعالى على عادته وان أريد تعلق قدرته عند ذلك الصرف من العبد فهو ضرورى أيضا على عادته تعالى فلا فائدة فى طلبه و بالجملة طلب المعاونة هو طلب القدرة فالقدرة المطلوبة ان كانت ماهى صفة للعبد صالحة صرفها للضدين على سبيل البدل أو سلامة الآلات التى يعتمد عليها صحة التكليف فهى حاصلة قبل الطلب فلا فائدة فى الطلب وان كانت عين ذلك الصرف ولو مجازا فقد قرر أنه أمر عدمى فى الخارج وصدوره من قدرة العبد فقط ولو فرض صدوره من الله يلزم الجبر فلا معنى لطلب المعاونة من الله تعالى على فعل ما ونحوه طلب الهداية والتوفيق والعصمة ونحوها ومن زمان كثير يحتاج ذلك فى خاطر هذا الفقير عصمه الله ولا يجد ملجأ غير التفويض الى علمه تعالى والتبعية بالنصوص والسلف ثم اطلعت فى بحث الافعال الاختيارية للعبد من البيضاوى ولصعوبة هذا المقام أنكر السلف مناظرته لتأديه الى انكار التكليف أو الشرك بالله ثم قال الاصفهانى بعدما قال الاولى هو طريق السلف من ترك المناظرة وتفويض العلم الى الله تعالى هذا ثم سبق الى الخاطر انه يجوز طلب المعاونة بالقاء نحو الشوق والمحبة واخطار الامر الملايم بالقلب على وجه يرجح العبد جانب الفعل مثلا يعنى يحصل الصرف بلا رتبة ايجاب واضطرار ونحوها لا يبعد صدوره عن الله تعالى لان الظاهر انها من مقولة الكيف الذى هو موجود يتعلق به الخلق على انه لا شك فى كونها موجودة فى نفس الامر ولا يبعد صدور نحو هذا الوجود من الله تعالى كالموجودات الخارجية وغايته لزوم عدم المخلوقية فى بعض ماصدر عنه تعالى لعله لا بأس فيه بل قد يفهم من كلام بعض المحققين فلعلك بهذا القدر تفهم تحقيق المقام على وجه يرتفع حجب نحو الهداية والتوفيق بل استصعاب البيضاوى واعتراف الاصفهانى حتى التفتازانى أيضا فى شرح العقائد و بالتامل الصادق بحقائق المقام ينكشف ظلمات الاوهام بعناية المفضل المنعام * وتمام تحقيق الكلام فى بحث الافعال الاختيارية ان شاء الله الفتاح المنان

﴿ الحمد لله ﴾ هو الوصف بالجميل الاختيارى للتعظيم وكونه غير نعمة هذا هو الحمد اللغوى والاكثرون

وعند الشيخ الاكبر أن الجار والمجرور متعلق بالحمد والمعنى نحمد الله تعالى باستعانة اسمه الشريف ذكره في فتوحاته (قوله الله) علم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات الكمالية المستحق لسائر المحامد ولهذا لم يقل الحمد للخالق أو الرازق لئلا يتوهم اختصاص الحمد بوصف دون وصف فان تعليق الحكم بالمشتق يفيد عاية مأخذ الاشتقاق كما هو المشهور بين الجمهور * واعلم انه كما تحيرت العقول في ذات الله تعالى كذلك تحيرت الافهام في اللفظ الدال عليه في انه عربي أو عجمي جامد أو مشتق علم أو غيره اسم خاص أو غالب عليه ولهذا تركنا البحث فيه (قوله الرحمن الرحيم) اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والاول أبلغ لان زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار ونقض بحذر وحاذر فان الاول أبلغ من الثاني وأجيب بان ذلك أكثري لا كلي وتعقيبه بالرحيم من قبيل التتميم فانه لما دل على جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها كما في الدرر * فان قلت اذا كان لفظ الجلالة اسما للذات المستجمع لسائر الصفات كما مر فما فائدة ذكرهما بعدها * قلنا فائدة الذكر أن لفظ الجلالة يدل على الالوهية وهي من صفات القهر والغلبة فلو لم يذكر بعدها ما يدل على اللطف لتوهم انه تعالى موصوف بالصفات القهرية دون الصفات اللطفية فجيء بهما بعدها لدفع هذا التوهم فتفطن فانه سر لطيف يبتنى عليه سر الصفات المتقابلة المذكورة في القرآن والحديث مثل ذي الجلال والاكرام والمعز والمذل كما في التوفيق (قوله الحمد لله) هو الثناء باللسان على الجميل سواء تعلق بالفضائل أو بالفواضل والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب الانعام سواء كان ذكرا باللسان أو اعتقادا أو محبة بالجنان أو عملا بالاركان فمورد الحمد هو اللسان وحده ومتعلقه يعم النعمة وغيرها ومورد الشكر يعم اللسان وغيره ومتعلقه يكون النعمة وحدها فالحمد أعم باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والشكر بالعكس ومن ههنا تحقق تصادقهما في الثناء باللسان في مقابلة الاحسان وتفارقهما في صدق الحمد فقط على الوصف بالعلم والشجاعة وصدق الشكر فقط على الثناء بالجنان في مقابلة الاحسان كما في المطول أما الشكر العرفي فصرف جميع القوى فيما خلق له كصرف النظر الى مصنوعاته وكذا غيره وانما آثر عليه الحمد لانه مشعر باستحقاقه له بلا انعام عليه فهو داخل في الاخلاص واللام للعهد أي حمده تعالى أو حمد محبيه أو للاستغراق أو الجنس الاان الاول أولى لما تقرر في الاصول أن العهد مقدم على الاستغراق كما في القهستاني وكذا أجاز الواحدي أن تكون اللام للعهد على معنى ان الحمد الذي حمد الله به نفسه وحمد به أنبياءه وأولياءه مختص به تعالى كما في التحقيق

يفسرونه به ومقتضى القاعدة اختيار جانب العرف اذ عند تعارضهما أي اللغة والعرف بل الشرع أيضا يرجح العرف كما في الاشباه والمراد من العرف اما العرف العام فيتبادر الذهن اليه عند الاطلاق مطلقا في أي فن كان أو الاصطلاح الخاص والمتبادر في الفاظ الشريعة هو اصطلاح أهل الشرع والمقام تخاطب الشرع فهو حقيقة شرعية فلا يصار الى مجازه بلا صارف وقد قرر لا يصار الى المجاز بلا تعذر الحقيقة وأيضا مقتضى العقل ترجيح جانب العرفي اذ هو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما اذ حاصله مطلق التعظيم الشامل لما باللسان وسائر الاركان وظاهر أن ما كان شموله أكثر في الفائدة أوفر على ان الظاهر ان الحمد هنا ليس منبعثا من قراءة هذا الكتاب فقط بل من تصنيفه الذي هو فعل حتى العمل بموجبه وأما خصوص متعلقه وهو النعمة فلا يضر بل يفيد المبالغة من حيث ان حمد الله لا يخلو عن نعمته وأما استحقاقه تعالى الحمد من حيث ذاته ولو فرض عدم نعمته وان أوهم فمن قبيل استلزام محال محالا آخر أو أن الكلام على الواقع بمقام التصنيف والقراءة * أقول في الجواب والله أعلم بالصواب ان التحميدات النبوية والمأثورة على الفاظ نحو سبحان الله والحمد لله وسبحان الله وبحمده الظاهر من أمثالها انشاء الحمد لا الاخبار ولعل الوجه في المأثورات هو أنه اعتبر في الحمد كون المحمود مختارا وهو كمال بالنسبة الى الايجاب وان الثناء على الاختياري أبلغ مما على الايجابي وكونه على جهة التعظيم وأيضا للعموم السابق في الحمد مدخل ما في الترجيح وان اللسان أكثر شيوعا للنعم وأدل على شرفها لخفاء الاعتقاد ولاحتمال الجوارح لغير الشكر أو لغير شكر النعمة المعينة وبما قررنا عرفت وجه اختيار الحمد على الشكر والمدح سيما الشكر العرفي الذي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه الى ما خلق له ومما ذكر عرفت سر قوله ﷺ الحمد لله رأس الشكر لان الشكر لما كان باللسان والجنان والاركان وكان اللسان أشيع وأدل وفيه اظهار النعمة كان رأسا ولعل بمثل هذا فضل التحميد على التسبيح بل على التهليل عند بعض بظاهر بعض الحديث وان ردفي التهليل لعدم معادلة شيء له * ثم اعلم ان الباء في قوله بالجميل ان كان صلة للوصف يدل على المحمودية مطابقة وعلى المحمود عليه التزاما وان للسببية فعلى العكس والوصف لا بد له من واصف فهو الحامد ومن موصوف تلك الصفة فهو المحمود ونفس الوصف ما يدل على اتصاف المحمود بالمحمود به فتحقيق ماهية الحمد يتوقف على تحقيق هذه الخمسة * فالاول أي المحمود به صفة تظهر اتصاف شيء بها على وجه مخصوص ولا بد من كونه صفة كمال يدرك عقلا ولو بدقة نظر أو تعلم

والجميل عام لما فى الواقع أوعند الحامد أوالمحمود بزعم الحامد فالظلم الذى ادعى حسنه جد وأيضا يجوز كون المحمود به سلبيا أيضا فلا فرق بين كونه فواضل أى متعديا كانعام أوفضائل أى غير متعد كحسن ولا بين كونه المتعدى باختياره أولا على ما نقل من الدوانى وصدر الافاضل فى حاشية التجريد والمطالع لكن الظاهر من شرح التهذيب اختصاصه بالاختيارى ولذا أورد عليه أبو الفتح بانه غير مشهور * أقول هذا ليس بوارد لانه ملتزم على عدم الالتفات بالمشهور فى ديباجته وان المشهورات من الجدليات وان تعليله بان الجميل اختيارى لانه صفة للفعل وهو بالاختيار يقتضى كونه برهانا تأمل والمفهوم من كلام الشريف العلامة فى حاشية المطالع اختيار التعميم * والثانى أى المحمود عليه مايقع المحمود به لأجله فلولاه لم يقع فهو كالعلة الباعثة للواصف على الوصف أوهو علته وقد يتحد المحمود به وعليه ذاتا ويتغايران اعتبارا فان الشجاعة من حيث كون الوصف بها محمودا به ومن حيث كون الوصف لأجلها لقيامها فى محلها محمود عليه ثم ان المحمود عليه يجب كونه كمالا ولو فى زعم الحامد أوالمحمود والجمهور على انه أعم من كونه فعل المحمود أوكيفيته ثم المشهور باشتراط كونه فعلا اختياريا ولو حكما فاورد بنحو الثناء على صفاء اللؤلؤ ورشاقة القد ودفع بأنه مدح لاحمد ولو مجازا * واشكل بثنائه تعالى على صفاته الذاتية غير الاختيارية * وأجيب بأن الاختيارى شامل لما يكون أثره اختياريا أو بأن كونه تعالى مستقلا فى مصدريتها كالاختيار أوهو مجاز وباب المجاز واسع كتحامد الرياعا على الكلا قال الزمخشرى ومن المجاز حمدت الارض * والثالث أى الحامد وشرطه أن يكون معظما للمحمود فى سائر أقواله وجميع أفعاله ظاهرا وباطنا فلو اقترن جهة واحدة بنحو تحقير واستهزاء ولو باحتمال مع تحقق التعظيم من الجميع يكون حمدا لانه اذا اعتبر فى التعظيم عموم الافراد كذا قرر صدر الأفاضل وأيد بأنه لا يتصوّر التعظيم والتحقير من شخص واحد فى آن واحد فلو فرض اجتماعهما يرجح جانب التحقير الان المركب من الداخل والخارج خارج واذا اجتمع الحظر والاباحة يرجح جانب الحظر * وينبغى أن يعلم أنه لا يشترط اعتقاد الحامد اتصاف المحمود بالجميل الذى أتاه ان لم يقارن بشوب تحقير فيدخل هذا الوصف الذى اعتقد الحامد انتفاءه عن المحمود فى الحد هذا عند المحققين لكن أورد عليه بقول الشريف العلامة انه اذا لم يطابق القول الاعتقاد يكون سخرية فدفعه الدوانى بأن مراده من الاعتقاد لازمه الذى هو انشاء التعظيم اذ الحد انشاء ولا حكم فى الانشاء حتى يتصوّر فيه المطابقة ألا يرى أن الناس يأتون أوصافا جميلة فى نحو العقائد القطعى انتفاؤها عن الممدوح فى اعتقادهم و يعدونها حمدا ومدحا ثم قال وأما الجواب بأن الحامد معتقد تلك الأوصاف فى المحمود أوانه يريد بها معانى مجازية معتقدا اياها فمردود بأن الاول خلاف البديهة والثانى خلاف الواقع * واعترض عليه صدر الافاضل بأنه لو كان الاول خلاف البديهة والثانى خلاف الواقع لزم خلو الكلام عن الحقيقة والمجاز ثم أجاب عنه الدوانى بأنه لا يلزم من عدم اعتقاد مضمون الكلام عدم استعماله فيه كقول السنى المخفى حاله عن المعتزلى العبد خالق لأفعاله مستعمل فى معناه الحقيقى مع عدم اعتقاده * ثم حاصل ما تحرر هنا أنه لابد للحامد من التعظيم فى ثنائه ولابد فى كونه على وجه التعظيم أن يكون معظما فى جميع أحواله ظاهرا وباطنا لكن لا يشترط مطابقته باعتقاده ان لم يقارن نحو استهزاء عند المحققين * والرابع المحمود وقد عرفت اشتراط كونه فاعلا ومختارا أوفى حكمه ثم ان المحققين كالتفتازانى والجرجانى وأفاضل المفسرين كالزمخشرى والبيضاوى حصروا الحمد له تعالى وعليه اشكال حكموا بصعوبته لان أفعال العباد كما ترجع الى الله تعالى ترجع الى العبد من حيث خلق الله الجميل فيه ومكنه بصرف ارادته ومباشرته فلولا صرفه لم يوجده تعالى على عادته فيحمد بهذا الاعتبار ورجوع هذا الى الله لا يقتضى الحصر والناس فيه فريقان

فريق كابن الكمال منعوا حصر الحمد لله تعالى لنحو قول عائشة رضى الله عنها وعن أبويها نحمد الله لا نحمدك وفى المثل عند الصباح يحمد القوم السرى فالمحمود عليه لا يلزم كونه فعلا للمحمود فضلا عن كونه مختارا فيه ولا مدخل لحاق الاعمال اذ الكلام فى الحمد اللغوى فرجعه النقل منهم كما عرفت * وفريق أوّلوا معهم كالدوانى وحصروا الحمد لله تعالى على الحقيقة اذ الحمد مختص بالفعل الاختيارى ولا اختيار لغيره تعالى على قاعدة أهل الحق والعبد مضطر فى صورة مختار قال المولى المناوى فى شرحه للجامع الصغير بعد ذلك النقول مشيرا الى ترجيح الاخير * والحاصل أنهم نزلوا حمد الغير منزلة العدم ومنزلة الحمد لله تعالى لانه مبدأ كل جميل لان الكل منه واليه خلقا وتمكينا وليس لغيره شئ سوى المحلية وهو بجعله أيضا وكل جمال وكمال مضمحل فى جنبه تعالى راجع اليه وكل اختيار لغيره يعود الى اضطرار انتهى (والخامس) وهو ذكر ما يدل على اتصاف المحمود بالمحمود به وهو باللسان كما فهم من لفظة الوصف ضمنا ولزم عليه عدم الحمد مما ليس له لسان وقد قال تعالى ـ وان من شئ الا يسبح بحمده ـ فأوّله بعضهم بأنه اخبار باستحقاق الحمد أو أمر به أو مجاز عن اظهار الصفات الكمالية * قال المناوى ميل السيد الى الاخير * أقول قال السيد عند قول شارح المطالع وهو باللسان وحده حقيقة الحمد اظهار الصفات الكمالية قولا أو فعلا وهو أقوى لدلالته عقلا ودلالة القول وضعا الذى يجوز تخلفه عن مدلولها بخلاف العقلية فهذا على وفق ما ذكره الدوانى ان ذكر اللسان قيد غالبى اذ هو موضوع فى أصل اللغة للأمر العام ثم بالغلبة فى بعض افراده وهو اللسان صار حقيقة عرفية فيه مع انه فى أصل الوضع أعم بالاظهار العقلى الذى هو أقوى وأتم فيشمل أيضا حمد الملائكة بلا احتياج الى تقييد تشكلهم بشكل الانسان لكن اخرج المناوى حمد الطيور والبهائم والنائمين لعدم القصد ولا يخفى اذا اعتبر حمد الجمادات كما فى الآية السابقة فالحيوانات أولى مع انها داخلة فى عموم تلك الآية وهو أمر ممكن فى نفسه وكل أمر ممكن أخبر به الشارع فمحمول على ظاهره عند أهل الحق غايته عدم اطلاعنا به وقد تواتر عن الانبياء و بعض الاولياء تسبيحهم وتحميدهم الا أن يراد الحمد الذى يحمد به الحيوان بتعليم الانسان لا مطلق الحمد قال الشريف ومن قبيل الحمد الفعلى حمده تعالى وثناؤه على ذاته لانه حين أوجد الموجودات أظهر عن صفاته الكاملة بدلالات قطعية ولا تدل العبارة مثلها ومن ثمة قال ﷺ لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلولا خوف املال المقام لقضيت حق حمد المفضل المنعام الذى لا يستغنى عنه الخواص والعوام ﴿ الذى جعلنا ﴾ ان أريد بهذا الوصف بيان داعى هذا الحمد فمحمود عليه وان أريد مجرد توصيفه تعالى بهذا الوصف فمحمود به فمن قبيل اجتماعهما بالجهتين ولا شك انه كمال واختيارى وجميل واقع على جهة التعظيم ثم ان كانت القضية فعلية فالمراد أمة اجابة وان ممكنة فأمة دعوة فالمتبادر هو الاول والثانى أيضا نعمة فان التمكين نعمة والاقدار عليها نعمة يستحق الحمد لازالة امتناعها لكن لو لم يوقع ذلك لزاد نقمة وعقوبة يظهر بملاحظة شاهق الجبل ثم هذا الجعل من الله تعالى على قاعدة أهل الحق سيما لمن سلك مسلك الاستاذ فى أفعال العباد صعب الفهم اذ معنى جعله تعالى من الأمة اعطاء الاسلام مثلا وهو فعل العبد فان أريد من اعطاء الاسلام اعطاؤه ابتداء بلا توسط مدخل العبد فمذهب الجبرية او الحكماء وان بواسطة قدرة العبد بأن يصرف قدرته فيوجد الله تعالى الاسلام كما هو مذهب أهل السنة فيرجع الى تمكين الاسلام والمتبادر من اللفظ والمعتد به فى استحقاق الحمد ليس امكانه بل وقوعه وان المتبادر استقلاله تعالى فى اعطاء الاسلام وقد اشترك فيه العبد بصرف قدرته اذ هذا الصرف من العبد فقط عندنا لعل حل هذا الاشكال كما أشير بأن يلقى الله تعالى فى قلب المؤمن علم حقية الاسلام ومحبته وسائر دواعيه نحو ارسال الملائكة الملهمة وكراهة ضده ومنع الشيطان عن وساوسه وسلامة آلاته و بعدم ارادة ضده ﴿ أمة ﴾ جماعة

الذى جعلنا أمة

فان كل أمة جماعة لنبيهم والنبي امامهم ﴿وسطا﴾ بالتحريك أي عدلا كما في حديث الشيخين وأحمد والترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى ـ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ـ وأيضا في القاموس أي عدلا خيارا وفي ترجمة الصحاح جعل كل شئ على ماينبغي كأنه بلا زيادة ولا نقصان والعدالة انما تظهر وتعتد بالتزكية وتزكيهم العلم والعمل والصلاح والدعة ومعنى الاستواء الذي فسر بالعدالة هنا يمكن أن يكون من حيث انتفاء الافراط والتفريط أو لتساوي الحكم النظرية والعملية في الشريعة المشروعة لهم وأما في الأمم السابقة قد يغلب جانب العملية وقد يغلب جانب النظرية قيل وهذا هو السر في كونها خاتم الشريعة ثم الظاهر ان العدالة إما للمجموع من حيث هو مجموع او باعتبار اشرف الاجزاء والافباعتبار الكل الافرادي مشكل ثم فيه تنبيه للرد على من ادعى الافراط وكذا التفريط في الشريعة واشارة الى أن هذا الكتاب مبين ذلك التوسط الاصلي الشرعي وأيضا لايبعد أن يشار به الى الامور التي اختار فيها الحنفية الماتريدية طريقة التوسط كالجبر المتوسط في قاعدة افعال العباد وفي الحسن والقبح العقلي والشرعي بل في قاعدة تكليف مالايطاق المفصلة في علم الكلام ففيه اشارة خفية الى إمكان دليل المسائل بهذه الآية ورد لطيف الى مخالف المسائل ولو كان الاشعري ونوع براعة استهلال لكل ماذكر من التوسط وتلك المسائل ثم قيل هذا اقتباس من الآية المذكورة * اقول الاقتباس اما بان لايكون فيه تغيير أو يكون يسيرا وذلك مقيد بضرورة والظاهر ان التغيير هنا ليس بيسير ولو سلم فليس هنا ضرورة إذ هي على مافهم من كلام أهل النحو وزن أو قافية فالأولى أن ماوجد فيه نحو الاقتصاص المفسر بكون كلام في صورة مقتصا من كلام آخر في صورة أخرى كقوله تعالى ـ يوم يقوم الاشهاد ـ مقتص من قوله تعالى ـ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ـ كما في الاتقان عن ابن فارس ﴿خير أمم﴾ قيل أيضا هذا اقتباس من قوله تعالى ـ كنتم خير امة أخرجت للناس ـ * اقول الكلام كالكلام على انه انما يتم بعد صحة الاقتباس بمجرد قيد من الكلام بل الظاهر من تحريرهم لزوم أصل الكلام ثم الظاهر من خيريتهم ماهو من النسبة الى سائر الأمم لكون نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة وأقربهم زلفى بلاخلاف كما في شفاء عياض وقيل لكون دينهم خير الاديان لانه رفع عنهم الاصر والاغلال الذي كان به بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في يوم واحد وتحريم الحلال عند معصية قال تعالى في شأنهم ـ ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم ـ وقال ﷺ «بعثت بالحنيفية السهلة» وأيضا حفظوا من نحو المسخ والخسف الذي عوقب به الأولون وقيل لكون المسلمين فيهم أكثروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أوفر ولانه تعالى أحسن اليهم بمقابلة قليل اعمالهم ثوابا عظيما واكرمهم بنحو ليلة القدر والجمعة خصوصا وقتها المعهود * اعلم أن هذا مأخوذ من الآية المتقدمة وهي نازلة على مانقل عن عكرمة ومقاتل في حق نحو ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ رضي الله عنهم حين فضل بعض اليهود دينهم على ديننا فكيف يعم الخيرية على جميعنا حتى يصلح لان يكون محمودا عليه هنا وقد خص بعضهم هذه الآية باصحاب رسول الله ﷺ أو المهاجرين برواية عن ابن عباس رضي الله عنهما واستدل بعضهم على الاختصاص بقوله ﷺ خير القرون قرني الحديث * فان قيل لاعبرة بخصوص السبب بل بعموم اللفظ * قلنا لاعموم هنا لان كنتم ليس عاما بل قالوا ان الآية نزلت في معين ولم يكن عاما فاختص به قطعا ومثل له الامام الرازي قوله تعالى في حق أبي بكر رضي الله تعالى عنه ـ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ـ مستدلا به على حصر الافضلية له ودفع وهم تساوي من عمل عمله بناء على القاعدة بعدم العموم اذا اللام للعهد

وسطا خير أمم﴾ الأمة الجماعة من كل حي والجمع أمم كما في القاموس والوسط العدل والخيار من الشئ ومنه قوله عليه السلام «خير الامور أوسطها» أي أعدلها فيه اقتباس من قوله تعالى ـ وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ـ وتلميح الى أن الطريقة المحمدية هي طريقة الأمة الوسط وجاء في السنة تفسيرها بانها تشهد للانبياء بالتبليغ عند انكار امم ذلك ويشهد المصطفى عليها بتزكيتها كما في شرح المواهب وقوله خير أمم أي افضل الامم صفة ثانية للامة كرره للتأكيد وبيان زيادة خيرية هذه الامة كما قال الله تعالى ـ كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ـ وخيرية هذه الامة بخيرية نبيها محمد عليه السلام وهنا ابحاث واسرار أودعتها في كتابي جامع الازهار

للقرينة * فان قيل ان نحو كنتم خطاب للحاضرين وقت النزول حقيقة وعلى الغائبين دلالة أو مقايسة أو بنص كما في محله * قلنا هذا قريب أن يكون رأيا في مقابلة النص مما ذكروا أما ما نقل عن أبي عمرو بن عبد البر من أنه يجوز فضل فرد غير صحابي على بعض فرد من الصحابة محتجا بقوله ﷺ «طوبى لمن رآني وآمن بي مرة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات» وبقوله «أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم أفضل الخلق ايمانا» كما في المناوي فقريب بظاهره أن يكون ترجيحا للآحاد على النص القرآني والخبر المشهور بل المتواتر اذ الاحاديث في افضلية جميع الصحابة متواترة المعنى ولهذا قالوا فضيلة الصحبة مع الرسول ﷺ لا يعدلها عمل ثم نقول في دفع الاشكال لا يلزم استفادة افضلية الجميع من تلك الآية اذ يجوز فهمها من نص آخر ويجوز فضل الجنس من حيث هو ولو باعتبار بعض أفراده ولا يبعد أن يكون ذلك نعمة موجبة للحمد بالنسبة الى الكل لظهور انتفاء الباقين نصا أو عقلا على ان ثبوت ما ذكر من سبب النزول والتخصيص غير معلوم قطعا فنعمل بقياسنا في مثل هذا الخطاب فافهم والله اعلم ﴿والصلاة﴾ في القاموس الصلاة الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله تعالى على رسوله فاخص ان من الله رحمة وان من المؤمنين دعاء ومن الملائكة استغفار فليس بتمامه لغو يا لعل لهذا قال الفاضل المناوي كذا اثر عنه الخبر فتكون معنى شرعيا وابطل من أرجع الدعاء والاستغفار الى طلب الرحمة بلزوم ارجاع جميع المشترك الى معنى واحد يجمع الجميع وهو ليس بصحيح ولا يخفى أن هذه جملة انشائية ألبتة وليس فيها جهة الاخبارية كالحمد اذ ليس الاخبار بثبوت الدعاء دعاء فلا يصح هنا غير معنى الرحمة اذ المعنى أي معنى الصلاة صل بمعنى نطلب الصلاة أي الرحمة ولا معنى من دعاء المؤمنين أو استغفار الملائكة له عليه السلام هنا ولا شك ان المستعمل هنا هي من الله فقط فلعل أن جمهور الشراح ذهلوا فوقعوا على ما وقعوا بل الظاهر من القاموس ان يجعل المطلوب حسن الثناء نقل عن فتح الباري وهذا أولى الاقوال فتأمل ثم المراد من الرحمة أو من حسن الثناء الرحمة الخاصة نحو الوسيلة التي أمرنا بسؤالها له بقوله ﷺ سلوا لي الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة ونحو ابقاء الشريعة وتكثير الأمة وتشفيعه فانه لا نهاية لرحمة الله تعالى ولا غاية لاحسانه فيجوز ان يحسنه تعالى بسبب دعائنا غير احسانه من كرمه ومن مجازاة أعماله ﷺ فنوع من الرحمة منوط بدعاء الأمة كسائر العاديات على حكمته ومن الحكمة تثويب المصلي وتقريبه وربط علاقة ومحبة بينه وبين نبيه ﷺ حتى يكون شفيعه أو صاحبه بل رفيقه ويقضي بها حاجاته * وقيل فائدة الصلاة مجرد التقرب بامتثال امره تعالى وقضاء حق نبيه ﷺ * اقول هذا كلام ظاهري إذ يقال حينئذ ما فائدة امره تعالى وكيف يقضي حقه بما لا فائدة له * وقيل لما وجب علينا شكر نعمه ﷺ مع عجزنا عنه امرنا الله بها شفقة لنا والا كيف يتصور الشفاعة لمن يشفع الكل وهذا قريب لما ذكرآنفا على انه تكليف العاجز عن الشكر تكليف بما لا يطاق وبالجملة ان كان الصلاة شكرها فليس بعجز والا فليس لها فائدة على أن الشكر ليس بعقلي بل شرعي فالاولى ما قدمناه وهو أيضا أولى مما نسب الى بعض العارفين وقريب اليه من وجه من أن فائدتها ترجع الى المصلي فقط لدلالتها على صدق العقيدة واظهار المحبة واحترام الواسطة صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أورد على تفسير الصلاة بالرحمة لقوله تعالى ـ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ـ اقول قد عرفت ما في القاموس من حسن الثناء من الله تعالى بقرينة المقابلة وان من خواص الواو عطف الشيء على مساويه بل على مرادفة ثم الصلاة على غير الانبياء بغير تبع قيل تجوز والاصح لا تجوز فاورد بحديث الشيخين «اللهم صل على آل أبي اوفى» ودفع بكونه من خواص النبي * أقول يرد عليه نحو قوله تعالى ـ هو الذي يصلي عليكم * وأولئك

﴿والصلاة

عليهم صلوات * وصل عليهم* فالوجه ما قالوا من جعلهم ذلك شعار الانبياء والصلاة على غيرهم صارت شعار أهل الاهواء لمن يعتقدون فيه العصمة ثم بعد ذلك هل هي حرام أو كراهة تنزيه أو خلاف الاولى اقوال ارجحها كراهة تنزيه بقي انه اختلف في حكمها قيل مستحب وقيل واجب واختلف أهل الوجوب أيضا هل في العمر مرة ولو في الصلاة وهو مذهب ائمتنا الثلاثة قيل وهو المشهور عند المالكية لكن في شفاء عياض فرض على الجملة غير محدود بوقت واجمع العلماء على الوجوب وما ادعى الطبري من اجماع الاستحباب فلعله فيما زاد على مرة ثم المفهوم من طويل كلامه المرة في العمر فرض والاكثار واجب وأما حكمها في الصلاة فمعلوم من الفقهية خلافا ووفاقا ثم تكرر الوجوب عند تكرر ذكر اسمه الشريف ﷺ على الذاكر والسامع عند أكثر الحنفية كالطحاوي والحليمي قيل وهو مذهب الصحابي وجماعة من الشافعية وعن بعض المالكية وهو الأحوط وفي القنية وهو الاصح المختار وقيل بكفاية واحدة في مجلس واحد ولو كرر مرارا ونسب الى الترمذي وفي الاستر وشنية وعليه الفتوى وقيل تجب الى ثلاث كما في القنية وفي شرح الجمع لمصنفه الفتوى على الاستحباب فيما عدا الفرض الذي دل عليه الامر قال في الاستر وشنية ولو سلم بدل التصلية جاز وفي التاتارخانية اذا كان السامع قارئ قرآن لا يلزم عليه فلو بعد الفراغ فحسن لكن في بعض الرسائل عن الجزري اذا مر بذكره حال قراءة القرآن ولو في صلاة النافلة يأتي بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الاستر وشنية لا يأتي في الحال لان القرآن أفضل ولو أتى بعد الفراغ حسن * فان قيل الاتيان في مثل هذه المواضع يعني في أوائل الكتاب من أي هذه الاحكام * قلت لعله مستحب لحديث أسند الى الجزري كل كلام لا يذكر الله تعالى فيبدأ به و بالصلاة علي* فهو ممحوق من كل بركة وكذا نقل عنه انه يؤتى في ابتداء التذكير والشروع في الدرس بتبليغ العلم وفي طالع المسرات باستحبابية كل مصنف ودارس ومدرس والكل يدعي بناء كلامه على الاشرف اوقع في بعض المواضع من الوجوب كالبسملة والحمدلة فلعله عادي أوليس بصحيح لان الوجوب الشرعي يؤخذ من الائمة الشرعية ولم يسمع قال القطب في شرح المطالع ما حاصله ان الكمالات مستفاضة من الله تعالى والنفس الانسانية في غاية العلائق البدنية والله تعالى في غاية التجرد عنها فلابد من واسطة ذي جهتين التجرد والتعلق فالنفس تستفيض من الواسطة بجهة التعلق والواسطة تستفيض من الله تعالى بجهة التجرد فالواسطة لنا مالك أزمة الجهتين ﷺ ولابد لنا من واسطة أيضا الى ذلك الواسطة لكمال قصورنا وهو الصلاة التي هي أفضل الوسائل قال الشريف في حاشيته هذا انما يتصور في صحته عليه الصلاة والسلام وأما بعد فجرد محض فالمناسبة منتفية ثم أجاب عنه بان أثر القوة الماضية باق فيهم بعد انتقالهم كما يشاهد زوار قبورهم فيضان أنوارهم من أرباب البصائر * أقول هذا أمر نزاعي بين المتصوفة و بين أكثر سائر العلماء واليه يشير البيضاوي في طوالعه و في مواضع كثيرة من تفسيره وقد استوفينا الكلام في حاشيتنا عليه في سورة النازعات ﴿والسلام﴾ اي التسليم من الآفات المنافية لغاية الكمال جمع بين الصلاة والسلام عملا بصورة قوله تعالى ـ صلوا عليه وسلموا تسليما ـ أو عملا بالاتفاق وأخذا بالعزيمة والاحتياط لان الاكتفاء باحدهما هل هو حرام أو مكروه أو ترك الاولى أقوال رجح الكراهة النووي في أذكاره وردده في جامع الرموز وأيضا عن النخعي عدم الكراهة قال علي القاري لا كراهة خلافا للنووي والواو في الآية لا يقتضي الجمع عند ذكر أحدهما بل اذا صلى في وقت وسلم في آخر يوجد الامتثال لان الواو لمطلق الجمع وعن العسقلاني ان صلى في وقت وسلم في وقت لا يكره والا كره وفي المناوي اختيار جانب الكراهة و بالجملة الاحتياط في الانفاق والعمل بالعزيمة أولى * فان قيل قد نرى في بعض الأحاديث جمعهما وفي بعضها بانفراد الصلاة و بعضها بانفراد

والسلام

السلام

السلام * قلنا إما التعليم الجواز أولان للصلاة معنيين أحدهما عام للسلام والآخر ليس بعام وكذا السلام أو هو مختلف باختلاف الاحوال والمخاطبين أو هو من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقاس عليه غيره ثم السلام كالصلاة لا يفرد به غير الانبياء وأما من اختلف فى نبوته فقيل كسائر الانبياء وعن النووى لا بأس فى ذلك بل الاولى الترضية ﴿على أفضل من أوتى﴾ أى من قبل الله تعالى ﴿النبوّة﴾ من النبأ بمعنى الخبر بمعنى المخبر ان مهموزا و بمعنى الارتفاع ان لم يكن مهموزا والمراد هنا على ما نقل عن بعض الاكابر سفارة بين الله و بين ذوى الالباب لازاحة عللهم والنبى انسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ ما أوحى اليه فأورد بمن بعث لمجرد اكمال نفسه فاكتفى فى التعريف بمجرد الوحى فرد بلزوم نبوّة نحو مريم وآسية والتزامه شاذ * وأجيب عن أصل الاعتراض بتأويل الخلق والتبليغ ثم أورد أيضا بمن بعث لتبليغ الغير كما فى بنى اسرائيل * وأجيب بانه مأمور بتبليغ ذلك وهو مما أوحى اليه وان شرع غيره اليه فيما أوحى فى الجملة والنبى مرادف مع الرسول على ما حكى ابن الهمام عن المحققين وابن حجر خطأه فيما نسبه وذهب الى العموم من أن النبى من له الهام ربانى فقط والرسول من له الهام وكتاب * أورد بان الكتب قليلة والرسل كثيرة اذهى أكثر من ثلثمائة ودفع بمأمورية تبليغ كتاب ولو نزل الى الغير أو بتكرر نزوله وقيل الرسول هو المأمور بتبليغ أمر لم يكن قبله سواء له كتاب أولا والنبى أعم من ذلك فلا أشكال ثم لم يقل المصنف من أوتى الرسالة بدل النبوّة مع أن المفهوم مما ذكر أفضلية جهة الرسالة من جهة النبوّة لان عنده الترادف أو لايهام اثبات الافضلية من جهتى النبوّة والرسالة يعنى أنه أفضل فى أصل النبوّة ومع ما فيه من الرسالة أو لايهام أنه لو لا جهة الرسالة لكفى جهة النبوّة فى الافضلية فيندفع ما أورد أيضا أنه لكون المقام مقام تبليغ الاحكام يليق ذكر الرسالة ثم لا يخفى ما فيه من القلب لان النبوة أوتيت له لا العكس ومن أفضلية كونه مبعوثا الى كافة الثقلين والملائكة كما ذهب اليه المحققون كالسبكى ومن تبعه لعموم قوله تعالى ـ ليكون للعالمين نذيرا ـ وخبر أرسلت الى الخلق كافة خلافا لمن اختص بالاولين مدّعيا فيه الاجماع وان رد مدعى الاجماع بانه منفرد فيه كما فى المناوى قال السيوطى عن السبكى أرسل للخلق كافة وكل الانبياء نوّاب ومعونات له ومرسل الى الجن والملك فى القول الراجح و بعث رحمة للعالمين حتى الكفار بتأخير العذاب ثم قال هو أكرم على الله وأفضل من المرسلين والملائكة المقربين ونساؤه أفضل نساء العالمين و بلده أفضل البلاد الامكة ومسجده أفضل المساجد والبقعة التى دفن فيها أفضل من الكعبة دون العرش والتربة التى ماست بدنه الشريف أفضل من العرش وأيضا حكى السيوطى عن النووى فى شرح مسلم عن أبى هريرة والماوردى عدم جواز الخطأ وعن قوم عدم النسيان أيضا جامع لخواص جميع الانبياء عليهم السلام وانه نبى الانبياء وما من نبى له خاصة فى أمته الا وفى أمته عالم من علمائها يقوم فى قومه مقام ذلك النبى فى أمته كما ورد «علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل» وان له الشفاعة العظمى والمقام المحمود واللواء المعقود والحوض والكوثر والوسيلة وآدم ومن دونه تحت لوائه و بالجملة لا يقدر على البيان عن احاطة ما دل على فضله ولذا صنف فيه الكتب والرسائل الطوال والقصار فلنكتف بهذا المقدار صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (والحكم) جمع حكمة وهى تحقيق العلم وانقانه منقسمة الى حكمة نظرية وعملية وقيل العلم اللدنى وقيل علم الشرائع وقيل وقيل (وعلى آله) أعاد لفظ على مع دلالته على نوع استقلال والمقام مقام التبعية ردا على الشيعة والروافض فان اعادة على عندهم مكروهة بحديث ليس له صحة ولو فرض فليس بجار بل اسم فعل لعل وجه التزامهم تركه لايجاب اتيان المباعدة وهم يلتزمون كمال المقاربة ثم أصل آل أهل بدليل أهيل عند سيبويه وعند الكسائى أول بدليل أويل ثم خص بعد القلب أو مطلقا بما له شرف من العقلاء أورد

والمشقة فى الدارين نازلة على محمد الذى هو أفضل الانبياء الذين آتاهم الله تعالى النبوة والحكمة أو صلاة الملائكة التى هى الاستغفار أو صلاة الامة التى هى التضرع والدعاء والاولى أبلغ وأنسب للمقام وانما جمع بينهما لان افراد أحدهما عن الآخر مكروه لقوله تعالى ـ ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ـ والنبوة بالضم والتشديد والنبوة بالفتح والتخفيف والنباءة الارتفاع وسمى النبى نبيا لارتفاع شأنه وشرفه على سائر الخلق وهو أعم من الرسول لانه انسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ أحكامه والرسول أخص منه وهو انسان كذلك لكن يكون له كتاب وشريعة كما فى عصام الدين والحكم جمع حكمة وهى علم حقائق الاشياء على ما هى عليه فى نفس الامر والعمل على وفق الصواب كما فى حاشية المطول وقيل هى العلم المصحوب بصفاء السريرة ونفاذ البصيرة ولا نفراد نبينا ﷺ بهذه الصفة عن كل النبيين اكتفى بها عن اسمه عليه السلام

واذا انفردت وما شركت فحسبنا الوصف تعيينا وتبيينا (وعلى آله

بنحو آل فرعون ودفع بانه شريف بحسب الدنيا أو باعتقادهم أوفى الصورة وفى القرآن تهكم على حد ـ ذق انك انت العزيز الكريم ـ نقل عن صاحب القاموس وهو هنا من حرم عليه الزكاة عند الحنفية وهم بنو هاشم وقيل إما نسبا كأولاد على وجعفر وعقيل وعباس والحارث أو دينا هو كل مؤمن تقى أو كل مؤمن على اختلاف الروايتين و يروى انه حين نزل قوله تعالى ـ قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودّة فى القربى ـ سئل عن هذه القرابة قال على وفاطمة وابناهما وقد يراد من الآل أهل البيت وقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه فى رحم وقيل من اتصل به بنسب أو سبب وأيضا ذو والقربى هم على وفاطمة وابناهما وقيل ذريته وازواجه وقيل اتباعه قيل رجح النووى كونه اتقياء امته وجرى عليه الدوانى ﴿وأصحابه﴾ قيل جمع صاحب وردبان فاعلا لا يجمع على أفعال فقيل جمع صحب تخفيف صاحب أو جمع صحب اسم جمع كتمر وتمار وقيل اسم جمع لصاحب بمعنى الصحابى هو لغة من صحب غيره واصطلاحا من لقى المصطفى يقظة بعد النبوّة وقبل وفاته مسلما وان لم يره لعارض كعمى اولم يره النبى ولو بلا مكالمة ولا مجالسة ككونه مارا ولو بغير جهته ولو لم يشعر بالآخر او تباعدا او كان احدهما بشاهق والآخر بوهدة أو بئر أو حال بينهما مانع مرور كنهر أو ستر رقيق لا يمنع الرؤية وكذا لو تلاقيا نائمين أو كان غير النبى مجنونا وقيل لازمنة افاقته وذلك لانه لشرف منزلة النبى يظهر أثر نوره فى قلب ملاقيه وعلى جوارحه واختلف فى الجن والاصح نعم ويدخل فيه الاطفال كما فى النخبة قيل يشترط أن يكون اهلا للتميز والانبياء وكذا الملك الذين اجتمعوا ليلة الاسراء داخلة لكن عن البلقينى الجزم بخروجهما والاكثر شرطية اللقاء بالتعارف دون الخارق فيخرج أيضا جميع من رآه فى تلك الليلة من الانس والجن لكن فى النخبة ان ثبت ان النبى ﷺ كشف له عيانا جميع من فى الارض ان آمن فى حياته يعد صحابيا لانه وقع الرؤية من جانبه فى حياته ﷺ وأما من رآه بعد موته قبل دفنه ومن رآه حيا على طريق الكرامة بجسده المكرم كما جوزه بعضهم بل نقل وقوعه للغزالى ومن رآه فى المنام وان حقا فليس بصحابى لانه من الامور المعنوية لا من الاحكام الدنيوية وهم يوم وفاته ﷺ مائة الف وأربعة عشر الفا كلهم من أهل الدراية (المقتدين به) صفة للآل والأصحاب فيجوز جمعه وتثنيته كانه اشارة الى وجه تشريكهم فى الصلاة له صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى انهم ان استحقوا هذا التعظيم بالاقتداء فغيرهم أيضا يستحقون التعظيم والاحسان بالاقتداء وفيه تنبيه على أن اقتداءهم نعمة لنا لان اقتداءهم واسطة لاقتدائنا وتشريك الصلاة مناشكر لتلك النعمة * فان قيل ان المقتدين منهم ليس جميعهم الذى فضل فى معنى الصحابى وهو ظاهر فالصلاة ليس لجميعهم أولا يكون الاقتداء علة للصلاة كما فهم مما ذكروان الوصف فى مثله للتعليل كما فى الاصول * قلنا بعد تسليم صحة العلية يجوز أن يكون علة للجنس ولا يلزم أن يكون علة لجميع افراده أو المراد من شأنهم الاقتداء سواء جامع بالفعل أولا * فان قيل إن فيهم من لا يقتدى فى جميع الامور كيف وقد نقل اجراء الحدود بل القتل حدا أو قصاصا أو سياسة * قلنا هو قليل ونادر وعلى طريق خطئه فكالمعدوم فى جنب الاكثر وانهم مغفورون بشرف الصحبة بالآثار وغيرهم ليسوا كذلك فلا يتوهم ان من لا يقتدى من الصحابة ليس له هذا الدعاء بتشريك الصلاة على أن مثل هذه الاوصاف صفات مادحة لا يجرى فيها مفهوم المخالفة (فى القصد) يعنى ان اقتداءهم بالنية لا على سبيل الاتفاق ولا على طريق نحو الرياء أو لاغراض فاسدة كاقتداء المنافقين وفيه ايماء ان الاقتداء انما يعتد به اذا كان عن نيات جيدة وأغراض صالحة أو من الاقتصاد أى التوسط فالمعنى تبعوا له عليه الصلاة والسلام بالاخلاص أو تبعوا فى توسط الاعمال اما على القيد الوقوعى كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «ولكنى أصوم

وأصحابه المقتدين به فى القصد

والشيم) فى الصحاح آل الرجل أهله وعياله وآله أيضا أتباعه ولو حمل على الثانى يكون ذكر الأصحاب تخصيصا بعد التعميم انتهى وللفقهاء اقوال فى تعيين آل الرسول والمقام لا يسعه كما فى العصام والاصحاب جمع صاحب كالاطهار جمع طاهر وفى مختار الصحاح جمع صحب والصحب جمع صاحب كركب جمع راكب وجمع الاصحاب الاصاحيب وهو كل من رأى النبى عليه الصلاة والسلام وآمن به واخذ منه ومات على الايمان وان اختلف فى تفسيره * وهم عند وفاته عليه السلام مائة الف وأربعة عشر ألفا كلهم أهل الرواية عنه عليه الصلاة والسلام لقوله عليه الصلاة والسلام «أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم إهتديتم» كما فى حاشية المطول والاقتداء الاتباع والقصد التوسط فى الاعمال بين الافراط والتفريط والشيم بالكسر وفتح الياء هى الخلق المقابل للخلق فى المصباح المنير هى الغريزة والطبيعة والجبلة التى خلق الانسان عليها انتهى * والمعنى والصلاة والسلام على نبيه وآله وأصحابه والتابعين فى اخلاص النية وتوسط الاعمال والاجتناب من الافراط والتفريط فى الاقوال والافعال الشريفة والشيم الكريمة والاخلاق السليمة وفيه اشارة إلى براعة الاستهلال لان الاقتداء والاقتصاد مما يقصد فى هذا الكتاب تأمل ﴿مادامت السموات والارض وما تعاقبت الأضواء والظلم﴾ مامصدرية بمعنى المدة صلتها دامت أى مدة دوامها كناية عن التأبيد لا التوقيت والتحديد كما تدل عليه قرينة والظرف

وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى» أراد بذلك ردقوم يريدون خلاف ماذكر بنحو صوم الدهر أو الاحترازى فان بعض شئ يفعل النبى ﷺ خواص له كصوم الوصال لايجوز اقتداؤه للامة لانه افراط فى حقهم وعلى الوجهين براعة استهلال فمن جمع بين المعنيين قائلا ان المراد المقتدون فى اخلاص النية وتوسط الاعمال فقط جمع بين الحقيقتين أو بين الحقيقة والمجاز (والشيم) جمع شيمة وهى الخلق والعادة ونقل عن المصباح المنير هى الغريزة والطبيعة والجبلة التى خلق الانسان عليها انتهى هذا يقتضى كونه ضرورى واثره كسبى والافلا يصح التكليف بتبديل الاخلاق ولا يتصور الاقتداء والمدح به اذ كل ذلك انما يترتب على الاختيارى ثم يمكن أن يراد من الخلق العادة ويراد بالعادة ما اعتاده صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادا أو اخلاقا أو افعالا أو اقوالا فى الشرعيات أو العاديات فان الصحابة كذلك فى أنفسهم الان علموا أنه من خواصه عليه السلام ففيه أيضا براعة استهلال اكمل (مادامت) مدة دوام (السموات) جمع سماء تذكر وتؤنث وتجمع على اسمية أيضا (والارض) بالافراد لانها واحدة والاصح سبع أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام طوقه من سبع أرضين فالافراد لكونها طبقة واحدة نقل عن البيضاوى وفى الاتقان لان لفظه ثقيل ولهذا يؤتى بما يفيد العدد عند ارادة التعدد ومن الارض مثلهن والمراد مطلق الخلود على عادة العرب فى مثله أو المراد سموات الآخرة وأرضها لان كل علو سماء وكل مستقر أرض ففيه اقتباس من قوله تعالى ـ خالدين فيها مادامت السموات والارض ـ (وماتعاقبت) أى مدة تتابع (الاضواء) جمع ضوء وهو الضياء يكون متعديا ولازما وهو النور وهو كيفية ظاهرة بنفسها مظهرة لغيرها وقيل الضياء أقوى وأتم كما فى قوله تعالى ـ وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ـ وقيل الضوء ضوء ذاتى والنور ضوء عارضى (والظلم) جمع ظلمة امايراد بهما حقيقتهما أو محلهما أى الليل والنهار أو الايمان والكفر أونحوهما ثم المعطوف عليه مع معطوفه اما قيد للصلاة فقط أو قيد لهما مع الحمد على التنازع فهو أبلغ معنى والمقصود هو الدوام كما مر لا التوقيت كما هو الظاهر من العبارة و بين الضياء والظلمة طباق بديعى وهو الجمع بين المتضادين ثم انه لما أخبر بثبوت الحمد له تعالى علله بهذا الوصف الصورى يعنى قوله الذى جعلنا فهو باعث الحمد فمحمود عليه يعنى انما حمدناه لانه جعلنا خير أمم ثم احتاج هذا الى بيان أيضا أشار الى علته فى ضمن الصلاة يعنى انما صرنا خيرها لانا أمة أفضل من أوتى الخ أو نقول لما قال جعلنا خير أمم فتوهم ان الخيرية من قبلنا باستعداد أنفسنا وكتسابها فكأنه دفعه بان ذلك ليس بمدخل منا بل من قبل نبينا عليه الصلاة والسلام لكونه أفضل الانبياء وحكمه أفضل الحكم ولما كان هاتان النعمتان غير متناهيتين واقتضتا شكرا كذلك قيد شكريهما أعنى الحمد والصلاة بما يدل على الدوام اللاتناهى أعنى قوله مادامت السموات الخ ﴿وبعد﴾ كان النبى عليه الصلاة والسلام يأتى بها فى خطبه وكتبه فاتى للتبرك والاقتداء

تنازعه المصادر قبله والاولى إعمال الاخير فيه وحذف معمول ماقبله لدلالة هذا عليه كما تقرر فى موضعه والاضواء جمع ضوء والظلم جمع ظلمة و بينهما طباق والمراد الثناء على الله تعالى والدعاء لنبيه وآله أبد الآبادوهو الدهور لان ذلك شأن متعاقبة الاضواء والظلم والله سبحانه وتعالى أعلم ، ولما فرغ من الخطبة التى هى فى العرف طائفة من الالفاظ مشتملة على البسملة والحمدلة والصلاة والسلام شرع فى الديباجه التى تشتمل على اسم المصنف وسبب التأليف وغيره على وجه يشعر بالاهتمام التام و يشوق الطالب على المراد فقال ﴿وبعد﴾ بالبناء على الضم لحذف المضاف اليه

فائدتها الاشارة إلى انقطاع ما بعدها عما قبلها فان ماقبلها هى البسملة والحمدلة والتصلية وما بعدها هنا اشارة الى مقدمات العلم من نحو ان هذا الكتاب من اى علم يعنى الكلام والتصوف يعنى الاخلاق والفقه اى الاعمال ومن الاشارة الى شرف هذا الكتاب ورتبته فى الشرف والى سبب التأليف والى غاية العلوم التى أخذت فى هذا الكتاب وشرفها والى اسم الكتاب و بيان أبوابه ونحوها ويحصل التصور بوجه ما الذى يجب قبل الشروع فى ضمن ماذكر فافهم (فان) الفاء إما جواب أما المقدرة أو الموهومة أو لفظ الواو لقيامه مقام أما أو لفظ بعد لغلبة الشرطية فى الظروف كما قيل (العقل) له معان منها جوهر مجرد غير متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف قال التفتازانى هذا ماقيل جوهر ليس بجسم ولا جسمانى غير متوقف فى أفعاله الى جسم * قيل هذا ما أشير اليه بقوله ﷺ أول ماخلق الله العقل ومنها قوة للنفس الانسانية بها يتمكن من ادراك الحقائق لعل هذا ماقالوا قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات ومنها الغريزة التى يلزمها العلم بالضروريات أو نفس العلم بذلك ومنها قوة مميزة بين الامور الحسنة والقبيحة ومنها هيئة محمودة للانسان وكلامه ونحوه ومنها قوة للنفس بها تنتقل من الضروريات إلى النظريات قيل هذا هو المعنى من قولهم نور يضىء به طريق يبتدأ به من حيث ينتهى الى درك الحواس فيبتدى المطلوب للقلب فيدركه القلب بتأمله بتوفيق الله تعالى لانوليدا واعدادا ولزوما وهذا ماعند أهل الاصول جوز صاحب التوضيح أن يكون هذا عين الاول فرده التلويح بان ذاك صفة المكلف وذلك ليس صفة له وجوز أيضا كون هذا التعريف أثرا فائضا من الاول أيضا على نفس الانسان كما ذكره الحكماء من ان العقل الفعال يؤثر فى النفس و يعدها للادراك وهذا صريح فى اثبات الجواهر المجردة وأكثر المتكلمين على انكارها الان يحمل مذهب صاحب التوضيح على عدم الانكار كالغزالى والراغب والبيضاوى وجمع من المتصوفة وفاقا للحكماء لكن ظاهر التلويح تسليم ذلك منه وهو فى شرح العقائد لم يقر بثبوت المجردات فتأمل ومنها جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله وهى النفس الناطقة التى يشير اليها كل أحد بقوله أنا العلم هذا ماقيل جوهر يدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة أورد عليه ان العرف واللغة على مغايرة النفس والعقل ودفع بجواز كون المراد انه يطلق العقل على النفس كما يطلق على قوتها ثم الظاهر هنا هو الثانى أعنى قوة للنفس اذما يكون سببا للعلم هو ذلك كما فسره التفتازانى ويحتمل أيضا غيره ثم للعقل أربع مراتب لان النفس فى أول الفطرة خالية عن العلوم مستعدة لها سمى عقلا هيولانيا كما فى الطفل ثم اذا أدركت الضروريات واستعدت للنظريات سمى عقلا بالملكة ثم اذا أدركت النظريات وحصل القدرة على استحضارها متى شاءت سمى عقلا بالفعل ثم اذا كانت النظريات حاضرة عندها مشاهدة لها سمى عقلا مستفادا قال صدر الشريعة فى تعديل العلوم الروح العلوى فى مرتبة كمال القوة النظرية والعلمية يسمى عقلا وفى مرتبة الانشراح بنور الاسلام يسمى صدرا وفى مرتبة المراقبة والمحبة يسمى قلبا وفى مرتبة المشاهدة يسمى سرا وفى مرتبة التجلى يسمى روحا وقد جاء فى الادعية اللهم زين ظواهرنا بخدمتك و بواطننا بمعرفتك وقلوبنا بمحبتك وأسرارنا بمشاهدتك وأرواحنا بمعاينتك انتهى ثم هل الافضل العلم كما فى بحر الكلام أو العقل كما فى الحاشية الالوغية والاصح العلوم الزاجرة أفضل (والنقل) أى الدليل النقلى القطعى لا الظنى أيضا كما توهم اذ دليل فناء الدنيا مثلا قطعى كادلة حدوث العالم اذ كل ماثبت حدوثه ثبت زواله كما قرر فى علم الكلام والمراد الادلة الدالة على فناء العالم مثلا من الكتاب والسنة وأما أخبار السلف فلا الان ترجع الى واحد منهما لان الظاهر ان المطلب قطعى والمقدمات المقبولة التى تؤخذ منها ظنية ومنه تبين ضعف مايقال وكذا كلام السلف والحكماء متقفان ولو أريد من الحكماء مايتبادر عند الاطلاق فلا يصح رأسا لانهم ادعوا

ونية معناه أى بعد ماتقدم من الحمد والثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أصالة وعلى آله واصحابه تبعا والواو نائبة عن أما المتضمنة معنى الشرط وفعله فلذا لزمت الفاء فى خبره غالبا (فان العقل والنقل

بقاء العالم وأنكروا البعث الجسماني * فان قيل الظاهر ان كلا من العقل والنقل دليل مستقل لافادة المطلوب والعقل لا يثبت شيأ من الشرعيات كيف والاجماع انه لا يحكم به على حسن شئ وان النقل انما يعتبر ان لم يخالف العقل والا يتوقف كالمتشابه * قلنا بجواز ارادة المجموع يعني مجموع العقل والنقل دليل واحد ولا نسلم ان هذا من المطالب الشرعية بمعنى لولا خطاب الشرع لم يدرك بل من المطالب التي يجوز حصولها بالعقل والنقل فيثبت بالعقل ثم يطبق بالشرع ليعتد به * فان قلت ان كان كل منهما قطعيا فاحدهما كاف فما الحاجة الى الآخر وان ظنيا فالحق انه لا يحصل القطع من اجتماع الظنون * قلت الاحتياج الى الآخر لتحصيل أعلى مرتبة اليقين اذ اليقين كلي مشكك بتفاوت افراده كما يشير اليه قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ولكن ليطمئن قلبي ولهذا سموه علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين خلافا لمن خص التفاوت بالظنون ولا شك ان معرفة شئ من وجوه أقوى من معرفته بوجه وان العقل وان كان قاطعا هنا لكن قد يشوب بالوهم كشبه الفلاسفة في بقاء العالم فلا يصفو عن الكدر فيحتاج الى ضم النقل وان النقل أيضا وان قاطعا لا يخلو عن شبه أيضا كمن أنكر دلالة اللفظي قطعا كما أسند الى الاشعري وان كان الحق انه سفسطة كما في المواقف والتلويح فاذا ضم اليه العقل فيصفو عن الشبه والمفهوم من مواضع المقاصد والتلويح افادة مجموع الأمارات القطع لكن فيه تأمل نعم المقام كالخطابي فافهم ثم لوضم اليهما الحس كما نشاهد أحوال معاصرنا ونسمع أحوال أسلافنا لحصل الحكم الآتي من جميع أسباب العلم الحواس والعقل والخبر الصادق (متوافقان) في الدلالة على خراب العالم وفناء نعمه ونحوهما (والكتاب) القرآن (والسنة) الظاهر السنة القولية هنا ولو ضم الاجماع لم يخل عن وجه وكان أبلغ وتعميم السنة له لكونه سنة العلماء بعيد كالتوجيه بان الاجماع راجع اليهما لاحتياجه الى السنة منهما وكالتوجيه بانه انما يصار اليه عند عدمهما سيما في مثل هذا المقام والقول بان الاجماع انما هو في الشرعيات ومانحن فيه من العقليات اذ الاجماع لا يجري في الامور الدنيوية والدينية الغير الشرعية فقد رده التلويح بان العقلي يكون ظنيا فيصير بالاجماع قطعيا والحسي قد يستنبطه المجتهدون من النصوص فيقطع بسبب الاجماع ولا يبعد ان يقال ان سند الاجماع كتاب أو سنة ظنيان وهنا ليس كذلك لكن دلالتهما قطعيتان وأما الاجماع الذي سنده قطعي فبعد تسليم وجوده فلا يفيد نفعا كثيرا (متطابقان) ثم قوله والكتاب والسنة من قبيل عطف الخاص على العام دافع لوهم اختصاص النقل باحدهما أو لوهم كون النقل من نحو الحكماء والعلماء (على ان الدنيا) نقيض الآخرة إما لدنوها أي لقربها بالنسبة الى الآخرة أو لقرب مشتهياتها في القلب أو لدناءتها قيل في حقيقتها عن العيني هي إما ما على الارض من الهواء والجو واما كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الدار الآخرة قال النووي وهو الاظهر (فانية) في أمد قريب لانه آت فسر الفناء بالعدم الطارئ على الوجود خلافا للكرامية كالفلاسفة يرد عليه قد فسر الدنيا بالجواهر والاعراض فلزم فناء أجزاء الانسان والمختار بعث الانسان بجميع الاجزاء المتفرقة وفناء الاعمال ولا تتصور المجازاة بالمعدوم ويمكن دفعه بان فناء كل شئ عدم شكله و بطلان صورته لا انعدام جميع مواده فمجرد بطلان صورة الانسان كاف في فنائه وان الاعمال لكونها اعراضا لا بقاء لها بعد آن الوجود وقد استحق الاجزة في أعمال العبد بعضه لبعض بالنص وفي أعمال الله تعالى فبالاولى قيل في وجه الفناء ان وجود الانسان عرض فهو غير باق فهو فان لا يخفى انه انما يصح اذا أريد بالعرض العارض بمعنى الحادث كما عرفت وأما اذا أريد ضد الجوهر كما هو المتبادر من لفظه وسوقه فلا يصح اذ الانسان ليس بعرض وان الفناء حينئذ لا يكون مؤقتا بل يكون أزلا وأبدا فينافيه غرض المصنف فبه يظهر أيضا عدم صحة ارادة كون الوجود الامكاني في حد ذاته مستهلكا

متوافقان) اى الادلة العقلية والبراهين النقلية من الكتب الالهية والأخبار النبوية متوافقان في بيان فناء الدنيا وزوال نعيمها والعقل جوهر مضيء خلقه الله تعالى في الدماغ وجعل نوره في القلب * في الحديث «العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل» وعن بعض الحكماء والعقل في القلب بمنزلة الروح للجسد وفي شرح المواهب وهو آلة غريزية يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وهو أشرف من العلم لانه منبعه وأسه والعلم يجري منه مجرى النور من الشمس والرؤية من العين ومن عكس أراد من حيث استلزامه له وأنه تعالى يوصف به لا بالعقل ولا حكم له عند جمهور الاشاعرة (والكتاب والسنة متطابقان) الكتاب علم بالغلبة في لسان أهل الشرع للقرآن المنزل على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام سمي به لجمعه أنواع العلوم والاسرار والسنة هي ما أضيف اليه عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو خلق أو تقرير كما في ابن ملك وعطفها على النقل عطف خاص على عام يعني ان كتاب الله وسنة رسول الله وكذا كلام السلف والحكماء متوافقان (على ان الدنيا فانية

سريعة الزوال والخراب) الجار المحذوف مع متعلقه خبران فى قوله فان العقل والنقل وحذف الجار مع ان وان وكى المصدريات عند أمن اللبس قياسى يعنى ان الادلة العقلية والنقلية متفقات اه على ان الدنيا فانية سريعة الزوال والخراب كما قال * لدوا للموت وابنوا للخراب * لانها حادثة وطرو العدم لازم للحوادث فتأمل وانما خص الكتاب والسنة بالذكر من بين الادلة الاربعة التى هى الكتاب والسنة والاجماع والقياس لان الادلة الشرعية فى الحقيقة اثنان الكتاب والسنة ومرجع الاجماع والقياس اليهما (عزها ذل) بالنسبة الى عز الآخرة الباقية (ونعمها) جمع نعمة وهى مايترفه به من المال والجاه (نقم) جمع نقمة وهى ماينفر عنه الطبع من الآلام والشدائد (وشرابها سراب) وحلالها حساب وحرامها عذاب الشراب مايشرب من المائعات والجمع أشربة والسراب مايرى من بعيد نصف النهار فى ايام الصيف كأنه ماء وهو فى الحقيقة خيال لا أصل له وكذا شراب الدنيا ونعيمها كالخيال بالنسبة الى شراب الآخرة ونعيمها فيكون حاله كحاله مع السراب الذى يحسبه الظمآن ماء (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) هذه الجملة عطف على جملة ان الدنيا الى آخره والحيوان بالحركة بمعنى الحياة أى هى الحياة الدائمة الابدية (أعدت للمتقين من أهل الايمان) أى هيئت وجعلت وأحضرت للذين يتقون من الكفر والشرك ويؤمنون بالله ورسوله هذه الجملة خبر بعد خبر وان لان أو حال من اسمها بتقدير قد واستئناف بيانى فانه لما قال فان الدار الآخرة كذا كأن قائلا قال لمن هى فقال أعدت للمتقين من أهل الايمان

دائما لان مراد المصنف مايكون فانيا فى وقت ما كالقيامة فشمل ذلك وان صح فى ذاته لكن لا يصح هنا فى ارادته أما الكتاب والسنة فى فناء الدنيا فكل ماوقع من وقوع القيامة وحشر الاجساد ونحوهما (سريعة الزوال) كانه بيان للفناء أو تعليل له أو جواب عن سؤال وقت الفناء وجواب على طريق أسلوب الحكيم اذ الكلام للسائل معرفة شرعية لا معرفة الحد المعين لانه من الاسرار المكتومة وقوله (والخراب) داخل فى حكم ماسبق من الوجوه ولا يبعد ان الزوال بالنسبة الى نفس الاشخاص والخراب بالنسبة الى نفس الدنيا أو الاول الى نعمها والثانى الى أشخاصها ونفسها ثم ان كانت كذلك فلا يكون ملكا لاحد بل عارية لكل واحد ووجودها مجازية صورية فاعتمادها ضلال وركونها وزر ووبال لان خلودها أمر محال (عزها) أى الشرف والعزة الحاصلة فيها نحو الجاه والحشم والاموال (ذل) من الذليل أى فى الحقيقة أو فى العاقبة لان سبب تحصيلها يضيع العمر العزيز الذى خلق للعبادة وكسب الصالحات بل بسببها يرتكب القبائح والسيئات ولهذا قال (ونعمها) جمع نعمة (نقم) بالقاف جمع نقمة بمعنى المحنة التى تنفر عنها الطبائع لانها إما موجب للعذاب ولا أدنى من الحساب وقد روى عنه ﷺ من نوقش الحساب هلك وأن ماجمع من الدنيا سينتقل الى الغير فيكون الجامع أسيرا للغير وخديمه فالعاقل يختار مايبقى على مايفنى (وشرابها) اى مشروباتها كالماء وسائر الاشربة اللذيذة (سراب) يرى من بعيد على صورة ماء ولو قرب به لعلم أنه ليس بشئ كذلك الدنيا بالنظر الاول الذى يقال له نظر الحمقاء ترى شيأ يستريح به النفس ولو اطلع على حقيقتها بتوفيق الله تعالى لعلم انها عديم لا أصل لها بل من قبيل الاشباح والظلال على مايشار اليه من قوله تعالى ـ كل شئ هالك الا وجهه ـ (وان الدار الآخرة) لتأخرها عن الدنيا فى التعبير بلفظ الدار دون الدنيا اشارة الى ان الدار هى الآخرة فقط لان الدنيا ليست بدار لانها مع وجودها الصورى سريعة الزوال (لهى الحيوان) بفتح الياء الحياة الابدية وجه الحصر مع لام التأكيد فى خبران لرد من أنكر الآخرة أو بقاءها كالمشركين والحكماء وبعض المتكلمين أو لامارة الانكار من صورة المستغرقين بالدنيا وان أقروا فينزل العالم منزلة الجاهل بل المنكر لعدم جريانه على موجب علمه كقولك لمن يصلى مع علمه بها ان الصلاة فريضة وينبغى أن يراد بها الجنة لا المطلق والا لايستقيم قوله (أعدت) أى هيئت فيما مضى لانها مخلوقة الآن وان كان الاصح عدم معلومية محلها (للمتقين) الذين حفظوا أنفسهم عن مخالفة ربهم وللتقوى مراتب وقاية الكفر للعوام والمعاصى للخواص وعماسوى الله لاخص الخواص والجنة على مراتبهم يدل عليه قوله ﷺ «ادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها على قدر أعمالكم» فالعاقل لا يقنع بالقليل مع إمكان القدر الجليل فان المنتهى فى التقوى منتهى فى الاكرمية الاعلى كما يستفاد من قوله تعالى ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ على أن من يرضى أن يكون مع الخوالف عن فرسان هذا الميدان بان يكتفى بمجرد الايمان قلما يخلو عن خطر زوال الايمان ولو يسر له الجنان لا يخلو من قهر وعقوبة من الديان فالواجب دقة النظر فى استحصال دقائق التقوى واستحضار حقائقها بتطهير القلب عماسوى الله وتنقيح الجوارح عما يوجب سخط الله ووزن جميع الافعال بميزان الله ليليق بجنان الله (من أهل الايمان) وهم الذين جمعوا الايمان مع الصالحات فيندفع أن الاصل فى القيود احتراز فيلزم أن يوجد الاتقاء بلا إيمان وليس بصحيح لانه حينئذ يكون المراد من لفظ المتقين غير الاول من التقوى ويكون اشارة الى ان تحقق التهيؤ المفهوم من لفظ الماضى انما هو لصاحب الاخر بين والاول

الثلاثة المذكورة فى الجملة التى قبلها (ونعمها صافية) من الكدورات (سرمدية) أى دائمة لدوام أهلها بنص القرآن والحديث والسرمد كما فى القاموس الدائم والطويل من الليل والمراد ههنا الاول (وشرابها خالية عن إثم ولاغية) أى خمرها خالية عن الآلام واللغو من الكلام بخلاف خمور الدنيا كما قال الله تعالى فى صفة شراب الجنة لا لغو فيها ولا تأثيم (فيها) أى فى دار الآخرة (حور مقصورات فى الخيام) يقال أحور حوراء حور كاحمر حمراء حمر وهى المرأة العظيمة العين الخالصة السواد والبياض وبذلك يكمل الحسن والجمال والمقصورات هى المخدرات المستورات عن الابصار أو المحبوسات لا ينظرن لغير أزواجهن كما قال الله تعالى فى آية أخرى فيهن قاصرات الطرف والخيام جمع خيمة وخيمة الجنة على ما ورد فى الاخبار لؤلؤة مجوفة فرسخا فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب فى كل زاوية منها أهل لا يرون الآخر يطوف عليهم المؤمن وههنا أستار وأسرار أودعتها فى كتابى جامع الازهار (ناعمات) ليات الابدان

وان كان جائزا لكن كم من عقبة كؤود تستقبله أول تلك العقبة عقبة الاسلام هل يسلم له فى آخر الاوان من مكر الشيطان كما ذكره الغزالى وبالجملة ان كل مؤمن فى الجنة لكن دوام الايمان لغير الاخيرين على خطر على أن ذلك على خلاف وان لم يعتبر عند أهل الحق وقيل هذا بيان للتقين أقول فيلزم أن يكون المراد المرتبة الاولى فقط وليس بصحيح أو محتاج الى تكلف (عزتها باقية) خلاف عزة الدنيا (أبدية) لا تنقطع بل تدوم على الخلود والتأبيد (ونعمها) كقصور الجنان والحور من الغلمان والولدان مع سائر رحمة الرحمن الى أن يحصل مصداق ـ واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ـ (صافية) من الكدورات كما فى الدنيا (سرمدية) لا نهاية لها قال تعالى ـ والآخرة خير وأبقى ـ ومحكمات النصوص الدالة على الخلود والتأبيد للجنة ونعمها وأقربية الى أن لا تتناهى (وشرابها) أى خمرها ويمكن ارادة مطلق المشروبات كالكوثر والرحيق (خالية عن إثم) أى جرمة ومعصية أو عن كدر كالصداع والسكر وضرر العقل ووجع البطن وعروض الجفاء كالبول والقئ فانها شراب طهور يعنى طاهر عن الاقذار لم تمسها الايدى ولم تدسها الارجل كشراب الدنيا لا يستحيل بولا ولكن رشحا فى أبدانهم كالمسك لانهم بعد أكلهم الطعام يؤتون بالشراب فتطهر بطونهم ويرشح ما فى بطونهم من جلودهم كالمسك وقيل الشراب الطهور عين على باب الجنة تنزع ما فى القلب من غل وغش (و) كذا عن (لاغية) لانه لا يسمع فيها لاغية لغو وباطل ولا يسمعون فيها لغوا لانه ليس فيها لغو حتى يسمع فلا تشرب على اللغو والكلام الفاحش والغناء الباطل وانما تشرب على الالحان باللطائف الالهية والكلام الحق (فيها) خبر مقدم لقوله (حور) يقال أحور حوراء حور كاحمر حمراء حمر وهى المرأة العظيمة العين الخالصة السواد والبياض وبذلك يكمل الجمال والبهاء وقيل هى النقية البياض من النساء وعن الواحدى الحور البيض الوجوه * فان قيل فائدة المطعوم والمشروب التغذى ودفع ضرر الجوع والعطش وفائدة الزوجة التولد وحفظ النوع وهذه منتفية فى الجنة * قلت فائدتها هنالك الاستلذاذات الحسية التى تقتضيها طبيعة نوع الانسان قال البيضاوى فى الجواب نعم الجنة لا تشارك نعم الدنيا فى تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها (مقصورات) مخدرات ومستورات لا يخرجن لشرفهن ولا ينظرن الى الغير قيل أى محبوسات لئلا تتطرق شائبة الاتهام وقيل مقصورات لازواجهن لا تتناول غيرهم ولو بدلا كما فى الدنيا وفى حديث الجامع الصغير لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرقت الى الارض لملأت الارض من ريح المسك ولأذهبت ضوء الشمس والقمر (فى الخيام) جمع خيمة فى القاموس الخيمة كل بيت مستدير أو ثلاثة أعواد أو أربعة أعواد يلقى عليها الثمام ويستظل بها فى الحر وفى حديث الجامع أيضا ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها سبعون ميلا قيل المراد من اللؤلؤ التشبيه فى الصفاء ورد أنه لا امتناع فى نفسها العل الاول بنى على العادى والثانى على الامكان النفسى الامرى وهو المتبادر عادة لانه يجوز أن تكون العادة فى الاخرى خلاف الاولى وعن الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ فيها أربعة آلاف مصراع من ذهب قيل عن الاحياء عن أنس عن النبى ﷺ لما أسرى بى دخلت فى الجنة موضعا يسمى البدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبرائيل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات فى الخيام أستأذن بهن فى السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدا وقال رسول الله ﷺ ان الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا (ناعمات) لينات (مطهرات) نظيفات نقيات (عن الاقذار) عما يستقذر

 (مطهرات عن الاقذار) جمع قدر محركة بالكسرة هو النجس والمراد ههنا

مايحصل للنساء من الامور المستقذرة كالبول والغائط والحيض والنفاس وغيرها من الملوثات (والآلام) كالعلل والامراض الجسمانية والنفسانية والاخلاق الذميمة (كأنهن الياقوت والمرجان) فى بياض البشرة وحمرة الوجوه (لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان) أى لم يمسهن قبل أزواجهن يعنى أنهن أبكار مخلوقات للمتقين قيل وفى الآية دليل اثابة مؤمنى الجن بالجنة أيضا وهو ماعليه الجمهور ومع كون الحور بهذه الصفات فنساء الدنيا أفضل منهن كما جاء فى الحديث المرفوع لعبادتهن وصلاتهن وصيامهن كما فى شرح المواهب (وجوه يومئذ ناضرة) ابتدأبه مع نكارته للتقسيم أولوصف مقدر أى جليلة أولتخصصه بقوله يومئذ أى بعض الوجوه يوم القيامة حسنة طرية ذات بهجة اماخلقة لهم واما من آثار رحمته واحسانه ونضارة الوجوه كناية عن حسن حال صاحبها لانه لازم لها (الى ربها ناظرة) أى تلك الوجوه ناظرة الى ربها يوم القيامة مشاهدة وعيانا نظرا يليق بذاته من غير ادراك له ولااحاطة به ولااتصال شعاع بالمرئى كما قال القاضى سراج الدين فى قصيدته

يراه المؤمنون بغير كيف * وادراك وضرب من مثال
فينسون النعيم اذا رأوه * و ياخسران أهل الاعتزال

وهذا معتقد أهل السنة لاتخميننا وحسبانا كما هو معتقد أهل الاعتزال لقوله عليه السلام أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر قلنا الحديث وهذان من أدلة وقوع الرؤية فى الآخرة وفيها تحقيق وتفصيل تركناه خوفا من الاطناب والتطويل من أراد كشف الاستار فعليه

و يذم كالحيض وسيئ الاخلاق والوسخ والدرن فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والاعمال وبالجملة عن جميع مالا يستحسنه الطبع (والآلام) جمع ألم وهو المرض والوجع أوعما يوجب الآلام من نحو ذهاب حسنهن وتغيير جاههن بل كلما ازداد الاحقاب يزداد الحسن والجمال وقيل مطهرات من نحو البول والغائط والبزاق والمنى والولد وقيل عن بغض ضرائرهن (كأنهن الياقوت) الاظهر اليواقيت لان المقصود كون كل واحدة ياقوتا فالمقام محل انقسام الآحاد الى الآحاد فيناسب مقابلة الجمع بالجمع الاأنه اقتبس من قوله تعالى لعل أنه أريد من اللام الاستغراق قيل الياقوت أربعة أحمر وأصفر واسمانجونى وأبيض ثم للاقسام أنواع لعل المرادهنا الاحمر أوالابيض (والمرجان) قيل عن الجوهرى هو صغار اللؤلؤ وقيل عن الخازن عند قوله تعالى ـ كأنهن الياقوت والمرجان ـ فيه تشبيه لونهن ببياض اللؤلؤ يعنى المرجان مع حمرة الياقوت لان أحسن الالوان البياض المشوب بالحمرة ومنه علم وجه التخصيص والاصح وجه الشبه هو الصفاء بحيث يرى مافى باطنه من ظاهره كما روى عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها أخرجه الترمذى وعن الواحدى أرادصفاء الياقوت فى بياض صفاء المرجان ثم فى اتقان السيوطى المرجان لفظ عجمى والياقوت فارسى (لم يطمثهن) الطمث النكاح أوالوطء أوالمس أقوال فلكل وجه (انس قبلهم ولاجان) يعنى لم يمسهن قبل أزواجهن فرد من الانس والجن فالتقييد بالجن امالان الجن يتصور منهم دخول الجنة ونعمها كالحور كما هو مذهب البعض مستدلا بنحو هذه الآية أوللمبالغة فى النظافة فى أنها صفة مرغوبة فى النساء تتسارع بها النفوس ثم هذه بعض صفات الحور وأما نساء الدنيا فأعلى منهن مراتب فى الأحاديث فلوقدم قوله لم يطمثهن على قوله كأنهن لوافق ترتيب القرآن وان عدم الطمث أنسب وأقرب للتطهير اذ طمث الانس والجن من مستقذرات الطبع ومؤلمه وماقيل لأن شرط الاقتباس عدم ارادة القرآن فان أريد أن الاقتباس متوقف على مثل هذا التغيير فظاهر أنه ليس بصحيح وان اريد أن مثل هذا التغيير لايضر الاقتباس فليس مما نحن فيه وان أريد أنه لووقع على ترتيب القرآن لزم قصدية قرآنيته ويفوت قصد الاقتباس فليس بمسلم وأيضا قيل هما سجعان فلو رتب على مافى القرآن لكان السجع الثانى أقل من الأول ولايحسن اطالة الأول على الثانى أقول المانع من الحسن ما يكون أكثر والافلا كما فى قوله تعالى ـ الم تركيف ـ الى قوله ـ فى تضليل ـ على أن رعاية البديعية انما تتأتى بعد رعاية أسرار أصل الفصاحة وقد عرفت الأقربية والانسبية لعل الاقرب ان المصنف نظر الياقوتية والمرجانية من المحاسن الذاتية وعدم الطمث من العرضية وان توهم الطمث انما يتبادر بعد الكمال فى الحسن ومن الكمال ماقدم ولوجعل المقصود من التشبيه عدم قبول الياقوت والمرجان شيأ من نوع الوسخ ومايتنفر الطبع فله وجه * اعلم انه لما كانت اللذة الجسمية كالمقدمة للذة الروحية قدم الجسمية مع شرف الروحية اذهى المقصد الاقصى * ولما كان معظم الجسمية المسكن والمطعم والمشرب والنكاح اكتفى بماذكر ثم قال للذة الروحانية (وجوه) الظاهر مما سبق وجوه المتقين جمع وجه انما خص لأن معظم الحسن والسرور يظهر فيه ولان العين الناظرة فيه والمراد من الوجوه هو الذات أوالمراد أصحاب وجوه (يومئذ) فى الجنة أو يوم القيامة (ناضرة) خبر وجوه اما لتخصيه بالظرف أو بوصف مقدر أى وجوه عظيمة ومعنى ناضرة حسنة مسرورة مشرقة مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور (الى ربها) اى رب تلك الوجوه (ناظرة) خبر بعد خبر قدم متعلقه أعنى إلى ربها للاختصاص * فان قيل فيلزم أن لاينظروا غيره تعالى كسائر نعم الجنة وهو ظاهر البطلان

* قلنا الاختصاص ليس بمطلق بل بالنسبة إلى وقت الرؤية خلاف رؤية الدنيا فانهم وقت رؤيتهم يستغرقون فى مطالعة جماله بحيث يغفلون عن أنفسهم فضلا عن الغير وقد يفهم من كلام بعض أن منهم من لا ينفك عن الرؤية ففيه نظر والمراد من الرؤية ما هو لعين الرأس على ما يدل عليه اللغة التى أنزل القرآن عليها اذ النظر المستعمل بالى فى اللغة بمعنى الرؤية وكذا الاجماع فمن قال انما نسب الرؤية إلى الذات الذى هو المراد من الوجه وكذا حقيقة الوجه لانهم يرونه بجميع ذواتهم بلا اختصاص بالعين بل يرى بكل من الحاسة وكذا ما بسائر الحواس يدرك بكل ما يدرك بالآخر فقد ارتكب ما ارتكب خلاف دليل وحجة وقد يقال فى اللغة والعرف فلان رأى ويراد الرؤية بالعين كما يقال تكلم فلان مع أنه لم يتكلم بجميع أجزائه بل بلسانه فى الجامع الصغير عن الترمذى ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعمه وخدمه وسروره مسيرة الف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية قال المناوى فى شرحه وتمامه ثم قرأ رسول الله ﷺ — وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة — ثم قال عن الغير لا غدوة ولا عشية هناك فالمراد مجرد كثرة النظر فالله تعالى يقويهم ليستوفوا لذة النظر فينسيهم ذلك كل النعيم وفيه أنه يرجى نيل الرؤية بمحافظة هذين الوقتين بالذكر والطاعة (عنده) أى عند ربها (مرضية) أى تلك الوجوه يعنى رضى الله عنهم بطاعته (مطمئنة) بذكرها — ألا بذكر الله تطمئن القلوب — فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات إلى الواجب لذاته فتستقر على معرفته وتستغنى به عن غيره أو الى الحق بحيث لا يريبها شك أو الآمنة التى لا يستفزها خوف أو حزن كما ذكر البيضاوى فعلى الأول يكون وصفا تعليليا اذ الوصف الصالح للعلة علة ما فوصول النفس فى الدنيا الى رتبة الاطمئنان سبب الى رضاه تعالى عنها فى العقبى * فان قيل فعلى الأول مثلا من لم يصل فى الدنيا الى هذه المرتبة لم يحصل له هذا الرضا * قلنا نعم وان كان له نوع من الرضا لعل الرضا مشكك يتفاوت بالقوة ونحوها وفسر أيضا بالمؤمنة الموفية بعهد الله ولا يبعد أن يراد المتقررة فى العقائد والأعمال الراسخة فيهما بحيث لا تتغير ولا تتبدل (وعنه) اى عن ربها أو عطاء ربها على الاستخدام بتقدير مضاف بين الجار والمجرور (راضية) لانهم رضوا عنه بثوابه وعطائه ثم قيل تقديم الخبر فى الموضعين لافادة أنهم أى الوجوه لم يرض عنهم غير الله تعالى وهم لا يرضون عن غير الله لتركهم جميع من سواه * أقول الظاهر أن عنده اما بدل من يومئذ أو الى ربها واما متعلق بمرضية ومرضية اما خبر بعد خبر لوجوه أو بدل من ناضرة فعلى الاول ليس فيه حصر وعلى الثانى لو كان ليس من قبل ما ذكره ولو سلم صحة الحصر مطلقا فالظاهر عدم ارادته لان هذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى — رضى الله عنهم ورضوا عنه — تلميحا أو اقتباسا أو اقتصاصا فلا يليق الزيادة عليه (شاكرة) * فان قيل الشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله اليه لما خلق له وذلك منتف فى الآخرة لأنها ليست دار تكليف * قلنا يجوز العبادة فى الجنة تلذذا لا تكليفا ولو جعل مقدمة شكر المنعم على المنعم عليه واجبا عقليا كما هو عند بعضهم لا شرعيا كما هو الحق فالامر سهل وقد نقل عن بعض العارفين الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة ومن الشكر الاعتراف بالنعمة (وهذه) الظاهر رؤية الله ورضاه اذ سائر نعم الجنة فى جنب هذه النعمة كنعم الدنيا فى جنب نعم الجنة ويحتمل أن تكون الاشارة الى جميع نعم الآخرة (هى النعمة) الحقيقية التامة الدائمة لا المجازية الصورية الفانية المتشتتة القذرة التى هى محن فى الحقيقة ونقمة فى النتيجة وعقوبة فى الوصيلة (واللذة العظمى) الظاهر أن أعظميتها فى نفسها لا بالنسبة الى نعم الدنيا فان نعم الدنيا لا تقبل نسبة اليها بل تلحق الى العدم فى جنبها فضلا أن يشتركا فى أصل العظمة كما توهم الا أن يجعل من قبيل نحو الله أكبر (والفوز) أى الوصول والظفر بتمام المراد أو برضا الله (والفلاح) بمعنى واحد وهو النجاة والبقاء فى الخير كما فى القاموس

بمطالعه كتابى جامع الأزهار (عنده) أى عند الله المراد عندية مكانة وتشريف (مرضية مطمئنة وعنه راضية شاكرة) أى تلك الوجوه عند الله تعالى مرضى عنها مطمئنة ساكنة عن القلق والاضطراب راضية عنه تعالى شاكرة له تعالى على انعامه واحسانه اذ أراهم من الفضل ما لم يخطر ببالهم شاكرة بالشكر اللائق بتلك الدار فانها دار كرامة لا دار تكليف كما قال الله تعالى — يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى — هذا فى حق المؤمنين وقد قال الله تعالى فى مقابلته فى حق الكفار ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة فالوجوه الباسرة هى شديدة العبوس فالفاقرة داهية تكسر فقار الظهر نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا (وهذه) أى المذكورة من قوله وان الدار الآخرة الى هنا (هى النعمة واللذة العظمى) مؤنث الاعظم كالافضل والفضلى أى هذه النعمة واللذة الاخروية الباقية أعظم وأفضل أى من كل نعمة ولذة دنيوية فانية (والفوز والفلاح)

أى الخير المفرط الكثير أو الاول بالنسبة الى وصول النعم والثانى الى الخلاص من البؤس والنقم (والسعادة الكبرى) أى أكبر من كل سعادة اذ لا شقاوة بعدها أبدا ولا يبعد أن يجعل النعمة بالنسبة الى مطلق نعم الجنة واللذة العظيمة بالنسبة الى الرؤية وكذا قوله والفوز والفلاح لسائر النعم والسعادة الكبرى للرؤية فقوله النعمة مع قوله والفوز والسعادة كالمتساويين وكذا الاخيران فعند قصد الاغراء والبسط والترغيب يؤتى بمثل هذا الاطناب والتكرير البيانى ويمكن أن يفرق بالاعتبار فباعتبار كرم من الله وعطائه لا لعوض ولا لغرض نعمة وباعتبار وصول الانسان اليه بعد سعى وكد فى طريقه وخلاص من مخاوفه وعوائقه فوز وفلاح وأيضا اللذة حالة بواسطة قوة الذائقة وقد يزول والسعادة شرافة فى الذات ليس لها زوال فلو قدم الفوز والفلاح على النعمة لكان أنسب اذهما كالحاصلين فى طريقها أى النعمة نعم قد تقدم المقاصد على الوسائل (وأن الظفر) عطف على أن الدار الآخرة (بها) أى بتلك الأمور الاخروية يعنى لما ذكر كون نعم الآخرة فى غاية العزة ونهاية الشرف يريد بيان سبب الوصول اليها ليسعى كل من يريد وصوله اليها وهى متابعة نبينا ﷺ فى جميع الاحوال * فان قلت هذا التسبب قد فهم من قوله تعالى ـ أعدت للمتقين ـ اذ اللام للتخصيص ومأخذ الاشتقاق فى المشتقات علة للحكم عند صلاحه لها ولا شك أن المتابعة المذكورة ليست الا معنى للتقوى فلا معنى لما ذكر ثانيا * قلت يجوز أن يكون تفصيلا بعد الاجمال وتصريحا بما علم ضمنا أو التزاما ولتمهيد ما بعده من أحوال الشيطان ومراتب الانسان وأن التكرير فى المقام الخطابى مما يستحسن كما أشير آنفا ويمكن أن يجعل هذا القول علة لذلك من قبيل عطف العلة على المعلول بمعنى أن هذه النعم معدة للمتقين لان هذه النعم لمن تابع سيد المرسلين ومن تابعهم المتقون (لا يحصل الا بمتابعة) أى اتيان مثل فعل (خاتم النبيين) يجوز الكسر فى التاء اسم فاعل وفتحها بمعنى الطابع وهو قراءة عاصم فالمفهوم من البيضاوى على الأول أى آخرهم الذى ختمهم وعلى الثانى ختموا به * فان قيل كيف يتصور متابعته ولو فى فعل واحد اذ عمله على أكمل وجه وأتم طرز ولن يتصور لاحد ولو وليا مقر با اتيان مثله فى ذلك الواحد فضلا عن الجميع الذى هو المقصود هنا * نقول مأمورية كل على قدر وسعه وطاقته ولا يكلف ما ليس فى الوسع فاللازم بذل الوسع وصرف الطاقة فى أمر المتابعة حتى يتشرف بتلك الكرامات العلية * فان قيل فحينئذ يلزم أن لا يصل اليها من لا يتابع فى الجميع ومن مذهب أهل السنة أن بمجرد الايمان وان لم يكن عمل أصلا دخول الجنة * قلنا المراد هو الظفر الكامل الذى لا يعتريه محنة ومشقة ولا يطريه خوف وحزن كما يشعر به لفظ الظفر * ثم انه اشكل على كونه ﷺ خاتم لأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعيسى * وأشار البيضاوى الى جوابه بانه اذا نزل كان على دينه مع أن المراد آخر من نبئ انتهى * وأجيب أيضا بان المراد لا نبى بعده ينسخ شريعته ولم يكن من أمته ويقويه حديث لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى فعيسى وكذا الخضر وإلياس من اتباعه وبه أيضا دفع الاشكال على الخاتمية بقوله ﷺ لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا * ووجه الاشكال انه يفيد جواز النبوة بعده * ووجه الدفع انه لو فرض نبوته يكون تابعا لا ناسخا والخاتمية بالنسبة الى كونه ناسخا * أقول المتبادر من ختم النبوة بالنسبة الى مطلق ما يطلق عليه اسم النبى وهو المناسب لمنصبه العالى وشرفه السامى * فالجواب الصحيح ما نقل عن ابن حجر المكى والمواهب من أن الشرطية لا تستلزم وقوع المقدم أى بقاء ابراهيم رضى الله تعالى عنه لعل تحقيقه ما ذكر أهل المعقول أن صدق الشرطية لا يستلزم كون المقدم صادقا اذ تصدق مع استحالته وأيضا يجوز أن يكون من قبيل تعليق محال بمحال آخر اذ بقاء ابراهيم بعد موته محال فنبوته المعلقة عليه محال

(والسعادة الكبرى) من كل سعادة ودولة دنيوية (وان الظفر بها) عطف على قوله وان الدار الآخرة أى الوصول الى السعادة المذكورة (لا يحصل الا بمتابعة خاتم النبيين) من ختمهم أو من ختموا به فلا نبى بعده وحديث لو عاش ابراهيم لكان نبيا لا ينافيه فان القضية الشرطية لا تستلزم وقوع المقدم ذكره ابن حجر وفى المواهب لان الشرطية لا تستلزم وجود موضوعها فليتأمل